قصــص الأماكـن
فــى القــرآن الكريـــم

فتحى فوزي عبد المعطى الصيرى

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى، لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله رسول الإسلام والسلام والهداية، والدعوة إلى الحق وإلى طريق مستقيم.. أنزل الله عليه القرآن الكريم.. كتاباً.. اهتدى بنوره الحائرون في بيداء هذه الحياة الدنيا.

وبعد..

فقد أفاض كثير من الرواة السابقين، والكُتاب المحدثين في دراسة قصص القرآن الكريم.. قصص الأنبياء والرسل.. القصص التى وقعت أحداثها خلال عصور تاريخية سابقة لنزول القرآن الكريم.

كما كتب هؤلاء وهؤلاء قصص الحيوانات والطير والحشرات التى جاء ذكرها في القرآن الكريم، وكلها موضوعات محمودة.. جزاهم الله عن الإسلام خيراً كثيراً.

لكنى فيما أعتقد، وعلى قدر علمى، لم يكتب أحد دراسة مستفيضة عن الأماكن التى جاء ذكرها في القرآن الكريم من حيث قصص ما وقع فيها من أحداث، وتاريخ هذه الأحداث، ومواقع هذه الأماكن من الخريطة الجغرافية.

وامتثالاً لمشيئة الله وبتوفيقه.. رأيت أن أعرض هذه الدراسة.. دراسة الأماكن في القرآن الكريم: على أن تشتمل هذه الدراسة على:

١- الأحداث التى وقعت فى كل مكان.

٢- الزمن التاريخى الذى وقعت فيه هذه الأحداث في مكانها.

٣- تعريف القارئ بالمكان الذى جاء ذكره في القرآن الكريم.. تحديد موقعه ومعلومات جغرافية عنه.. مع توضيح موضع هذا المكان على الخريطة الجغرافية. مع ضرورة الربط بين هذه العناصر؛ مما يساعد القارئ على التفاعل مع الأحداث ومعايشة شخوصها.

فالكتاب أشبه بموسوعة علمية دينية وتاريخية وجغرافية، لما يشمله من كثير من الموضوعات والمعلومات، وهو مزود بمجموعة من الصور والرسوم.

ولا أنكر أنى بذلت جهداً كبيراً في سبيل تحقيق الوصول إلى تاريخ الأحداث التى وقعت فى كل مكان من هذه الأمكنة، لأن كثيراً من الآراء قد تباينت واختلفت فيها، ذلك لأن هذه التواريخ كثير منها يضرب في سحيق الزمن.

مع الإشارة إلى التجاوز في هذه التواريخ عن عشرة أو عشرين عاماً.. زيادة أو نقصاً في تواريخ ما قبل الميلاد.

فإن كنت قد أصبت، فبفضل الله ومشيئته، وإن كان الصواب قد جانبنى فيما ذكرت، فلعل هذه الدراسة تكون بداية لدراسات أخرى، ولعل الأيام القادمة تكشف لنا النقاب عن كثير من هذه الحقائق، حين تبوح الأرض بمزيد من مكنون أسرارها.

والله الهادى إلى ما فيه الخير والصلاح.

وعلى الله قصد السبيل

المؤلف

فتحى فوزى عبد المعطى الصيرى

* * * * *

الجُودِىُّ

جبـــــل أرارت

الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ [هود: ٤٤].

**** الأحداث التى وقعت فى المكان:**

دعا آدم ذريته إلى عبادة الله الواحد، فكان أول نبى لبنى البشر.

استمر أبناء آدم(١) وأحفاده من بعده على عهدهم لدعوته، والتمسك بها، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا الله، وعبدوا آلهة متعددة أسموها(٢) بعدة أسماء: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا.. يسجدون لها ويدعونها، ويقدمون لها القرابين.

شاء الله أن يعيد الناس إلى عبادته، وترك عبادة هذه الأصنام، فبعث إليهم نوحاً(٣) رسولاً من عنده، ليعودوا إلى الحق.

استمر نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً، فلم يؤمن به إلا نفر قليل، بينما استمر الباقون على كفرهم.

كثيراً ما حاول نوح أن يهدى قومه إلى الحق، فكانوا يرفضون دعوته، ويقولون له:

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [هود: ٢٧].

---

(١) استمرت حياة آدم ٩٣٠ سنة.

(٢) كانت هذه الأسماء لأشخاص مصلحين مؤمنين، فلما ماتوا.. أراد الناس أن يخلدوهم، فأقاموا لهم التماثيل، وعلى مرور الأيام قدَّس الناس هذه التماثيل وعبدوها!!.

(٣) هو نوح بن لامك بن متوشالح بن إدريس.. ينتهى نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام.

﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧﴾ [نوح: ٧].

ذكر نوح قومه بفضل الله عليهم، ليؤمنوا بدعوته، قال لهم:

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح: ١١ - ١٢].

أدرك نوح إصرار قومه على كفرهم، فنادى ربه:

﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝٢٧﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

أمر الله نوحاً أن يصنع سفينة.

كان قوم نوح كلما رأوه وهو يصنع السفينة استهزئوا به، كيف يصنع سفينة فى أرض يابسة، ليست نهراً ولا بحراً؟! وكيف تسير هذه السفينة على الأرض؟! [١].

كان نوح قد انتهى من صنع السفينة، فأمره الله أن يدخل فيها هو ومن آمنوا به، وأن يأخذ معه مع الحيوانات والطيور زوجين اثنين، ذكراً وأنثى.

لكن الكفار لدهشتهم، فوجئوا ذات يوم بالأمطار الغزيرة قد هطلت، وتفجرت العيون والآبار بما فيها من مياه، وتحولت المنطقة إلى بحر تتلاطم أمواجه.

وطفت السفينة على صفحة الماء بمن فيها، وأغرق الطوفان الكفار، وكان منهم أحد أبناء نوح، وامرأته.

بعد حين.. توقفت الأمطار عن الهطول، وغيض الماء، واستقرت السفينة على أحد الجبال العالية، هو جبل أرارات الذى سماه القرآن الكريم الجودى.

ونزل من السفينة نوح والمؤمنون، ليعمروا الأرض.

---

(١) فمعروف أن السفن والمراكب تصنع على الساحل بجوار الماء.. ليمكن إلقاؤها على المياه بعد نهاية صنعها.

زمن هذه الأحداث:

لم يرد فى القرآن الكريم إشارة إلى متى وقعت هذه الأحداث(١)، كل ما ذكره القرآن أن نوحاً استمر فى قومه ألف عام إلا خمسين، كما في قولـه تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقد جاء في العهد القديم (التوراة) في الإصحاح السابع من سفر التكوين أن الطوفان حدث حين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة.

فمتى كان مولد نوح؟

جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لمؤلفه سامى المغلوث أن نوحاً ولد بعد وفاة آدم بحوالى ١٢٥ سنة.

وفى نفس المصدر أن آدم عاش من حوالى سنة ٥٩٠٠ ق. م إلى سنة ٤٧٩٠ ق. م. وبذلك يكون الطوفان سنة ٤٢٤٥ ق. م أى بعد ٦٠٠ سنة من مولد نوح.

هذا كله لم يرد به نص تاريخى، ولكنه مجرد استنتاج، مع التغاضى عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يفترض علماء التاريخ.

لقد اكتشف علماء التاريخ المكان الذى رست عليه سفينة تتفق أطوالها مع ما جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس من وصف لسفينة نوح (٢)، فقد اتضح أن هيكل السفينة التى عثر عليها طولـه ٥١٥ قدماً وعرضه ١٣٩ قدماً.

أما القرآن الكريم، فقد اكتفى بأمر الله لنوح بصنع السفينة، ووصف ما حدث عن

---

(١) قال بعض العلماء: إن طوفان نوح حدث منذ عشرة آلاف عام، دون أن يذكروا دليلاً على ذلك (المؤلف).

(٢) (اصنع لنفسك فلكاً من خشب وتطليه من الداخل والخارج بالقار، وهكذا يصير ثلاثمائة ذراعاً يكون طول الفلك، وخمسين ذراعاً يكون عرضه، وثلاثين ذراعاً يكون ارتفاعه، وتصنع باب الفلك من جانبه ومساكن سفلية وعلوية تجعله...) الإصحاح السادس تكوين فقرات ١٤ - ١٧.

الطوفان وقصة نوح مع ابنه كنعان الذى رفض الإيمان، فغرق.

بعد انتهاء الطوفان، خرج أبناء نوح وأحفاده، ليعمروا الأرض الواسعة، فليس لدينا ما يؤكد أو ينفى أن الطوفان غمر المنطقة التى كان يعيش قوم نوح أو العالم كله[١]. والله أعلم.

توزَّع أبناء نوح وأحفاده على مساحات عديدة من العالم.

فاتجه أبناء سام إلى بلاد فارس والأشوريين.

واتجه أبناء حام إلى شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان والحبشة والهند.

واتجه أبناء يافث إلى الصين واليونان والأتراك والديلم.

فكان هذا بداية لعمران الأرض.

**** موقع المكان:**

جبل أرارات (يعرف بجبل أكرى داغ، أو جبل الحارث) [٢] الذى هو الجودى، يقع على الحدود عند شرق تركيا وأكراد العراق وإيران [٣].

ارتفاع الجبل ٥١٥٦ متراً. على ارتفاع حوالى ٢٠٠٠ متراً توجد جزيرة ابن عمر.

وهذا يعطى فكرة على أن قوم نوح كانوا يسكنون جنوب ووسط العراق، فقد كانت هذه المنطقة ومنطقة الهلال الخصيب في الشام من أنسب المناطق للاستيطان البشرى، ومعنى هذا أن استقرار الجنس البشرى منذ عهد آدم كان فى هذه المنطقة، ومنها انتشر الناس في أنحاء أخرى في العالم.

تُعرف المنطقة التى يقع فيها جبل أرارات مناخياً بأمطارها الشتوية، وفيها تقع منابع نهرى دجلة والفرات اللذين تفيض مياههما في فصل الربيع، نتيجة لذوبان الجليد الذى

---

(١) معروف أن الله أعدل من أن يأخذ الجميع بالعقاب.

(٢) المنجد ص ١٣.

(٣) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل.

تكون على هذه المنطقة في فصل الشتاء.

كما تمتاز العراق بتربتها الخصبة، مما يعطى فرصة للاستيطان البشرى.

ومما يؤكد هذه الفكرة أن أول من سجل حادث الطوفان هم السومريون الذين كانوا يكونون دولـة عاصمتها سومر في جنوب العراق، وكذلك الأكاديون الذين كانوا يكونـون دولـة وسط العراق.

هذا على اعتبار أن هاتين الدولتين أقرب إلى المنطقة التى استقرت فيها سفينة نـوح [(١)]، والله أعلم.

* * * * *

---

(١) جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٨١ أن أحد العلماء الأمريكين استطاع بواسطة أشعة الرادار تحديد هيكل لسفينة قديمة تتفق أبعادها مع أبعاد سفينة نوح التى جاءت وصفها في التوراة.. وكان يعلو السفينة عدة طبقات من الطمى.

بابـــل

مدينة هاروت وماروت

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

رغم ما يكتنف هذه الأحداث من غموض وإبهام؛ لأن جذورها تضرب فى سحيق التاريخ.. إلا أن بعض الرواة حاولوا أن يكشفوا بعض النقاب عنها، يقول الرواة:

لاحظت الملائكة ما يصعد إلى الله من أعمال الشر والذنوب الخبيثة التى يقترفها البشر.. أبناء آدم عليه السلام الذين اصطفاهم الله من خلقه؛ ليعمروا الأرض، ويعيشوا فيها، فقالوا لله [(١)]:

- هؤلاء هم الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض.. يعصونك!!

فقال الله لهم:

- لو أنزلتكم إلى الأرض، وجعلت فيكم ما فيهم [(٢)] لفعلتم مثلهم.

قالت الملائكة:

- سبحان الله.. ما كان ينبغى لنا أن نعصيك أو نخالف أمرك، نشكر لك فضلك ونعمك علينا.

---

(١) قصص الأنبياء، للثعلبى ص ٥٥.

(٢) المقصود بهذا: الشهوة الجنسية التى تحَمَّل أبناء آدم مسؤولياتها.

اختار الله مَلَكَيْن من الملائكة المشهود لهم بالصلاح، هما: هاروت وماروت، وركَّب فيهما الشهوة التى فى بنى آدم. تلك الشهوة الجنسية التى اختبر الله بها الإنسان.

أهبط الله الملكين، ونهاهما عن الشرك، والكفر به، والقتل والزنى وشرب الخمر.

استمر الملكان على عهدهما مع الله شهرًا.. يقضيان بين الناس بالعدل نهارًا، ويذكران الله ليلاً.

ثم افُتتنا، فتنتهما امرأة من أرض بابل بالعراق، كانت جميلة وكافرة، تعبد صنمًا لها.

تحركت فى الملكين الشهوة الجنسية، وتحركت فيهما عوامل الشر ونزعات الشيطان، فراوداها عن نفسها، ولكنها رفضت دعوتهما.

حدث هذا عدة مرات حتى وضعت المرأة شروطها للموافقة على ما أرادا، طلبت منهما أن يسجدا لصنمها الذى تعبده، وأن يشربا خمرًا، حتى ينالا منها مآربهما.

رفض الملكان عرض المرأة فى أول الأمر، ثم وافقا على أن يشربا خمرًا.

شرب الملكان خمرًا، فانتشيا، فزنا كل واحد منهما بالمرأة، سعيدَيْن بما أحسا به من نشوة مع المرأة، ورآهما رجل، فقتلاه خوفًا من الفضيحة.

ثم سجدا للصنم الذى تعبده المرأة، وتغيرت أحوالهما من صلاح إلى فساد وكفر وخطيئة، وكانا يعلمان الناس السحر.

بعد حين.. حاول الملكان أن يصعدا إلى السماء من حيث جاءا، فلم تسعفهما أجنحتهما، لأن الله غضب عليهما، وما يزالان معلقان بين السماء والأرض، يقاسيان الظمأ، وقد اسود وجهاهما.

فى السماء.. التقى الملكان بنبى الله إدريس[١] عليه السلام، وطلبا منه أن يشفع لهما عند الله، وما يزالان معلقين فى السماء.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

ليس لدينا سند من التاريخ عن زمن هذه الأحداث.

لكننا يمكن أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت بعد أن رفع الله إدريس عليه السلام إلى السماء.

ومعروف أن إدريس عاش ٣٦٥ سنة فى الفترة من ٤٥٦٠ ق. م حتى ٤٢٠٠ ق. م، أى قبل دعوة نوح [٢] عليه السلام.

❁ ❁ ❁

تعرضت بابل لموقف آخر، فقد وقعت فيها أحداث أخرى لم يتحدث القرآن الكريم عنها، ولكنها وردت فى العهد القديم.. الإصحاح ١١ تكوين الفقرات ١ - ٩، وملخص ما جاء فيها:

اجتمع فى بابل أبناء نوح عليه السلام، ليبنوا لهم مدينة وبرجًا عاليا، لعلهم يرون الله خالقهم.

أثناء بناء البرج.. لاحظوا أنهم لا يسمعون أو يفهمون الأحاديث بينهم.

لقد شاء الله أن يُبلبل ألسنتهم.. فما عادوا يتكلمون لغة واحدة، فتشتتوا بألسنتهم فى أنحاء متفرقة من العالم، وتحطم البرج الذى بنوه، وتعددت لهجاتهم.

ومن أجل ذلك عرف هذا المكان باسم بابل.

---

(١) هو إدريس (أخنوخ) بن برد (باريد) بن مهلائيل بن قينان بن شيث بن آدم عليهما السلام، جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧]. وكان يعيش فى أرض بابل، ثم هاجر إلى مصر، وهو أول من كتب بالقلم وخاط الثياب.

(٢) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥٠.

أعاد تأسيس بابل الملك سومو ايوم الأشورى سنة ٢١٠٥ ق. م[١]، وجعلها عاصمة لـه، وكان أحد ملوكها حمورابى بعد ذلك، ثم أصبحت عاصمة نبوخذ نصر البابلى [٢] سنة ٦١٢ ق. م بعد سقوط نينوى.

بعد وفاة نبى الله سليمان ، زعم بنو إسرائيل أن قدرة سليمان على السيطرة على الجن والطير، كانت بفضل أسرار السحر الذى كانت مكتوبة فى كتاب موضوع تحت الكرسى، وأنه أخذ أسرار هذا السحر مما خلفه الملكان هاروت وماروت فى بابل، وأن آصف بن برخيا تعلم هذا السحر، وأنه استطاع أن يحضر عرش بلقيس من اليمن إلى أورشليم بهذه السرعة المذهلة، قبل أن يرتد البصر، وكان بنو إسرائيل قد حرفوا ما جاء فى هذا الكتاب وجعلوا يفرقون بين المرء وزوجه.

** **موقــع المكــان:**

تقع بابل فى العراق شرق نهر الفرات، قرب مدينة الحِلَّة، على بعد حوالى ١٦٠ كم من جنوب شرق بغداد.

وموقعها فى منطقة سهلية بقرب النهر، أتاح لسكانها الزراعة من مياه النهر، بالإضافة إلى الأمطار التى تسقط عليها فى فصل الشتاء. مما ساهم فى خلق حياة بشرية فى هذه المنطقة منذ القدم.

* * * * *

---

(١) التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين.

(٢) نبوخذ نصر: هو الذى هاجم أورشليم، وأحرقها، ودمَّر هيكل سليمان، كما سيأتى بعد فى قصة المسجد الأقصى.

الأحقاف

حيث كان يعيش قوم عاد

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥].

**** الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

انتشر أبناء نوح وأحفاده والذين آمنوا به فى أنحاء شتى من العالم.

كان منهم قوم عاد (١) الذين حباهم الله ببسطة في الجسم، وأمدهم بأنعام وبنين، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادهم في الخلق بسطة.

تكاثر قوم عاد في هذه المنطقة.. يعيشون في خير وسعادة، فشيدوا القصور (٢).

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٧ - ٨].

أنعم الله على قوم عاد بالخيرات الوفيرة: أخصب لهم الأرض، وأسقط لهم الأمطار، وفجر لهم من العيون مياهاً، فأقاموا الحدائق والبساتين، حتى غدت أرضهم أشبه بجنة.

كان عليهم أن يشكروا الله على فضله ونعمه، أن يعبدوه، ولكنهم نسوا ربهم، وعبدوا آلهة صنعوها من الحجارة بأيديهم، أسموها بعدة أسماء: صداء وصمود والهباء، وراحوا يسجدون لها، ويتقربون إليها، أشركوا بالله، وكانوا يقولون: من أشد منها قوة؟

---

(١) عاد: من أحفاد نوح، وهو جد هود عليه السلام.

(٢) إرم: نسبة إلى إرم بن سام بن نوح.

بعث الله إلى قوم عاد واحداً منهم، يدعوهم إلى ترك عبادة هذه الأصنام، وأن يعبدوا الله وحده، بعث الله رسوله هوداً[(١)] إلى قومه، يذكرهم بفضل الله عليهم.. قال لهم:

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

لكن قوم عاد لم يستجيبوا لدعوة هود رسول الله إليهم.. استمروا على كفرهم وضلالهم، قال لهم هود:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

لكن قوم عاد استكبروا، وقالوا لهود:

﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤].

كثيراً ما حاول هود أن يذكّر قومه بفضل الله عليهم، وما وهبه لهم من نعم وخيرات. لكنهم كانوا يجيبونه باستهزاء، قال بعضهم:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٧].

وقال آخرون:

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

وما يملك هود وهو في موقفه هذا إلا أن يقول:

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

لذلك؛ استحق قوم عاد عقاب الله لهم.

---

(١) هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

فنادى هود ربه:

﴿ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧].

فأجابه الله:

﴿ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

منع الله عن قوم عاد المطر، فجفت الأرض، وذبل الزرع، ويبست العيدان التى كانت خضراء، واحترق النبات من شدة الحرارة.

حتى كان ذات يوم..

أقبلت إلى قوم عاد سحابة، ظنوها بشرى لأمطار وفيرة، ففرحوا.

أمر الله هودا أن يبتعد هو ومن آمنوا به.

فجأة.. هبَّت ريح عاصفة، اقتلعت كل ما في طريقها، تطايرت معها أجسام قوم عاد. لم يستطيعوا أن يقفوا في مواجهتها، وهى تلقي بهم على الأرض:

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٧].

لاذ قوم عاد بقصورهم، ولكنها تساقطت عليهم فوق رؤوسهم.

استمرت الريح سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، حتى هلك كفار قوم عاد، وتحطمت مساكنهم، ونجَّى الله هوداً والمؤمنين به؛ ليعمروا الأرض.

حتى إذا بلغ هود مائة وخمسين عاماً.. مات، فدفنوه داخل كثيب من الرمال الحمراء، في منطقة تريم، وزرعوا فوق قبره شجرة الأراك.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

ذكر علماء التاريخ وبعض الرواة أن الفترة التى كان يعيش فيها قوم عاد كانت من سنة ٢٤٥٠ ق. م إلى سنة ٢٣٠٠ ق. م، وأن الله بعث هوداً إلى قومه حوالى سنة ٢٤٠٠ ق. م.

لم يرد فى الكتب السماوية الأخرى: التوراة أو الإنجيل.. قصة قوم عاد ومساكنهم وقصورهم، وما وقع لهم.. انفرد القرآن الكريم دون باقى الكتب المقدسة بذكر تفاصيل قود عاد.

ثم شاء الله أن يؤكد حقائق القرآن الكريم، حين اكتشف بعض رجال التنقيب عن البترول في السعودية، مصادفة قصراً كبيراً بدا منحوتاً في الصخر، كان أحد قصور مدينة إرم التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٦ - ٨].

ولعل أرض هذه المنطقة تبوح ذات يوم قريب بمزيد من أسرارها، وما تخفيه الرمال تحتها من آثار ومدن.. تلك التى كان يعيش فيها قوم عاد.

** **موقع المكان:**

هذه المنطقة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية..

يحدها من الجنوب البحر العربى الذى هو جزء من المحيط الهندى، ومن الشمال منطقة الحجاز التى هى جزء من المملكة العربية السعودية ويحدها من الشرق عمان والخليج العربى، وفى أقصى الغرب البحر الأحمر.

هذه المنطقة هى الآن منطقة صحراوية جافة حارة، وإن كان واضحاً أنه أيام قود عاد كانت تسقط كثير من الأمطار عليها.

الآن تغطى الرمال هذه المنطقة، والتى تعتبر امتداداً لرمال صحراء الرَّبع الخالى التى تحتل مساحة كبيرة من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

سياسياً، كانت هذه المنطقة تعرف باسم حضر موت، هى الآن جزء من جنوب دولـة اليمن.

* * * * *

الحجر

ديار قوم ثمود (مدائن صالح)

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الحجر: ٨٠].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾ [الفجر: ٩].

**** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

عاش قوم ثمود[١] بمنطقة الحِجْر[٢].. أرض خصبة.. أمطار وفيرة.. فيها كثير من مياه العيون والآبار التى كانت مصدراً لانتشار مساحات واسعة من البساتين والحقول والنخيل، وأقاموا عدة مدن وقرى بعضها في المناطق السهلية، وأخرى نحتوها في صخور الجبال ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحجر: ٨٢]، فضلاً عن موقع هذه المناطق على طريق التجارة بين مكة والشام.

مع كل هذه النعم.. نسى قوم ثمود عبادة الله، وعبدوا آلهة صنعوها بأيديهم، أو نحتوها من الصخر، يسجدون لها، ويتقربون إليها.

بعث الله إلى قوم ثمود واحداً منهم هو صالح [٣].. قال صالح لقومه:

---

(١) ثمود: هو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٢) تعرف هذه المنطقة الآن بمدائن صالح.

(٣) هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن حاذر بن ثمود بن عاد بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١ ﴾ [هود: ٦١].

ومع أن كثيراً من قوم ثمود كانوا يعلمون عن أخيهم صالح صدقه، إلا أنهم لم يستجيبوا لدعوته.

اختلف قوم ثمود، واحتاروا ماذا يفعلون.

بعضهم آمن بإله صالح، وبعضهم استمر على عبادته للأصنام، وقال فريق من هؤلاء الكفار لصالح:

﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢ ﴾ [هود: ٦٢].

وقال فريق آخر:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

استمر النقاش والحوار بين صالح وكفار قومه، حتى بعث الله إليهم آية ذات يوم..

بينما كان قوم ثمود جالسين يتناقشون.

فجأة.. رأوا ناقة ضخمة تخرج من الجبل.. يتبعها ولدها.

هنالك.. قال صالح لقومه:

﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ ﴾ [هود: ٦٤].

اشترط صالح على قومه أن يكون للناقة يوم تشرب فيه من البئر، ولهم يوم. كانت ناقة عجيبة تشرب من ماء البئر كله، وتدر لبناً يكفي كل قوم ثمود.

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: ٤٨].

تآمر الرجال التسعة على قتل الناقة.

فلما كان الليل.. هاجموها، وسد عليها الطريق أحدهم، وهو مصدع، وضربها أكثرهم شراً وهو قدار.. فسقطت صريعة.

هكذا.. قتل قوم ثمود ناقة الله، فاستحقوا عقاب الله لهم.

قال صالح لقومه:

﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ [هود: ٦٥].

وابتعد صالح عن قومه ومعه من آمن بالله.

فجأة..

سمع كفار ثمود صرخة عاتية، اهتزت لها الأرض، ففزعوا ووقعوا.. لم يستطيعوا أن ينهضوا، ماتوا..

ونجى الله صالحاً ومن آمنوا به.. ولما توفى صالح دفن بمكة.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

واضح من أصول نسب قوم عاد وقوم ثمود أنهم يرجعون إلى نسب واحد.. فعاد بن عوص بن إرم، وثمود بن عامر بن إرم، والاثنان قوم عاد وقوم ثمود يرجع نسبهما إلى سام ابن نوح عليه السلام.

وهذا جعل بعض العلماء يطلقون على قوم ثمود عاداً الثانية.

كان يعيش قوم ثمود، وفقاً لآراء المؤرخين من سنة ٢١٥٠ ق. م إلى سنة ٢٠٨٠ ق. م وكانت بعثة نبى الله صالح سنة ٢١٠٠ ق. م.

مما يذكر عن تاريخ هذ المنطقة أن المسلمين يتقدمهم رسول الله حينما خرجوا في رجب سنة ٩هـ للقاء الرومان في تبوك [١].. مروا على هذه المنطقة، فأسرع الرسول، وقنع رأسه، وهمز راحلته، يحثها على الإسراع، ونهى الرسول رجاله عن دخول منازل قوم ثمود، إلا أن يكونوا باكين، فإن لم يبكوا.. تباكوا، خشية أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم ثمود، وقال الرسول لمن معه:

((لا تشربوا من بئرها، ولا تتوضأوا منها للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه، فأعلفوه للإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحدكم الليلة، إلا ومعه صاحب له)).

وتعرف هذه المنطقة بشدة عواصفها التى تطمر رمالها الناس والإبل.

ومما يروى أن رجلين خرجا عن رأى رسول الله ﷺ، فاحتملت الريح أحدهما وطمرت الرمال الآخر، وأصابهما الفزع.

ذكر بعض من زاروا منطقة مساكن ثمود (الحجر) أنهم رأوا رمم جثث بعض رجال ثمود.

---

(١) عرف هذه الجيش بجيش العسرة، لأن الرسول كونه فى ظروف مادية ومناخية واقتصادية صعبة، وكان الهدف من خروج الجيش لقاء الرومان للانتقام منهم لمقتل ثلاثة أبطال مسلمين في معركة مؤتة سنة ٨ هـ هؤلاء الأبطال هم: عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب. لم يجد المسلمون جيش الرومان، فعادوا إلى المدينة المنورة.

** **موقع المنطقة:**

هذه المنطقة تقع بين أرض الحجاز والشام، تقع أرض نجد في جنوبها الشرقى، وفى شرقها جبل شمر، وفى الغرب جبال الحجاز التى تفصلها عن البحر الأحمر (بحر القلزم) ومن هذه الجبال تنحدر إلى المنطقة بعض الوديان.

المسافة بين مكة ومدائن صالح حوالى ٦٤٠كم(١).

والمسافة بين المدينة المنورة ومدائن صالح حوالى ٣٥٠كم.

والمسافة بين الرياض ومدائن صالح حوالى ٩٠٠كم.

مناخ المنطقة حار، والأمطار نادرة.

والمنطقة محدودة الإنتاج اقتصادياً.

* * * * *

(١) الأطلس العربى بحساب مقياس الرسم، خريطة المملكة العربية السعودية ص٣٤.

سد ذى القرنين

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

** **تمهيد:**

قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع، يجب أن نؤكد هنا حقيقة هامة، وهى أن ذا القرنين الذى نحن بصدد الحديث عنه، ليس هو الإسكندر المقدونى الذى أطلق عليه بعض المؤرخين اسم (ذو القرنين) وكان فى الفترة من سنة ٣٥٦ق. م إلى سنة ٣٢٤ ق.م.

أما ذو القرنين الذى نقصده، فلم يكن ملكًا كافرًا، وإنما كان حاكمًا عادلاً صالحًا، استطاع أن ينشر عبادة الله فى أقصى شرق وغرب العالم، كما سيتضح من الحقائق التى سنتعرض لها.

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

كان ذو القرنين ملكًا طيبًا، وحاكمًا عادلاً.. أحبَّه كل رعيته، أهل مملكته [١].

لكن سؤالاً كان يشغل ذهن ذى القرنين: أين تغيب الشمس؟ ومن أين تشرق؟

لكى يجيب ذو القرنين على سؤاله، اتجه مع جيش لـه نحو الغرب، فرأى الشمس تغرب فى مياه المحيط الأطلنطى الذى يقع غرب إفريقيا وآسيا فى منطقة يكثر فيها الطين، حيث مصبَّات بعض الأنهار.. وهناك نشر ذو القرنين دعوة عبادة الله بين القوم، ونشر العدل والسلام.

اتجه ذو القرنين بعد ذلك نحو الشرق، يبحث عن مشرق الشمس، حتى وصل إلى شرق آسيا، حيث المحيط الهادى، وهناك وجد أقوامًا شبه عراة، لشدة حرارة الشمس.. يسكنون كهوف الجبال، فهداهم إلى الحب والإخلاص وعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والحيوانات التى كانوا يعبدونها.

كان ذو القرنين سعيدًا برحلتيه نحو الغرب والشرق، وما حققه فيهما من دعوة أهل المنطقتين إلى الحق والمحبة والسلام.

اتخذ ذو القرنين طريقه للعودة إلى بلاده، ولعلها كما ذكرنا، كانت فى المنطقة التى تقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط، أى تركيا وما جاورها من بلاد أرمينيا.

---

(١) لم يحدد القرآن الكريم المنطقة التى كان يعيش فيها ويحكمها ذو القرنين، ولم يتفق الرواة والمؤرخون على رأى.. لكن الواضح من خلال الأحداث أن هذه المنطقة تقع فى قارة آسيا.. بين الشرق والغرب فى منطقة أقرب إلى التجمع البشرى الأول لآدم عليه السلام، وهى منطقة غرب آسيا، ويمكن أن نقول تجاوزًا: إنها منطقتى تركيا والأناضول؛ لاقتراب هذه المنطقة التى بنى فيها ذو القرنين السد (التركستان الروسية) (المؤلف).

فى الطريق.. فى المنطقة التى تشغلها الآن التركستان الروسية [١] التى تقع بين البحر الأسود غربًا وبحر قزوين شرقًا، ويحدها من الشمال جبال القوقاز.

فى هذه المنطقة لقى ذو القرنين جماعة من سكانها.. كانوا يعيشون فى رعب وفزع من هؤلاء السكان الذين كانوا يسكنون شمال جبال القوقاز والذين سماهم القرآن الكريم بـ يأجوج ومأجوج [٢] الذين كانوا يهاجمون السكان، ويستولون على محاصيلهم من القمح وأغنامهم.

كان يأجوج ومأجوج يدخلون على هؤلاء القوم من فتحة فى جبال القوقاز تعرف باسم مضيق داريال [٣].

أحس هؤلاء السكان فى ذى القرنين القوة والعدل والرغبة فى مساعدة الآخرين، فاشتكوا إليه ما يقاسونه من هجمات هؤلاء الأعداء يأجوج ومأجوج، وأن عليه أن يساعدهم فى الخلاص وحمايتهم منهم.. قالوا:

﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: ٩٤].

أجابهم ذو القرنين مشفقًا على حالهم:

﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف: ٩٥].

وتشجع القوم، وأعجبتهم الفكرة، فنشطوا فى جمع الحطب والأخشاب والأحجار التى كانت مختلطة بخام الحديد التى تكثر فى جبال تلك المنطقة، هداهم ذو القرنين إلى صنع أسلحة؛ لتقطيع هذه الأحجار من الجبال.

(١) دخل المسلمون هذه المنطقة سنة ٧٥١ م.
(٢) يأجوج ومأجوج جماعة من المغول، وهم من ذرية آدم عليه السلام من أحفاد يافث بن نوح، كانوا يعيشون على أكل الحشرات والزواحف، وهم أصول قبائل الديلم. (المنجد: ٢ ٥٧٠)
(٣) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٢١٠.

اهتـدى ذو القـرنين إلـى مشـروع لسـد فتحـة داريال بـين حافتيهـا، لتتماسـك مـع الجبال.

كان الرجال يرصون الأحجار الحديدية، ويضعون فوقها طبقة من الحطب والخشب.

طبقات متعددة رصها الرجال من الحجارة والأخشاب، حتى ارتفع السد أعلى من الجبل من ناحيتيه، قال ذو القرنين للرجال.

- أشعلوا النار فى الحطب والخشب، وانفخوا.

حتى إذا انصهرت الأحجار الحديدية بفعل الحرارة، جاءوا لـه بالرصاص المذاب، فصبه على الحديد، فتماسكت الأحجار، وصار سدًا كتلة واحدة صلدة، عزلت ما بين الجنوب والشمال.

حاول قوم يأجوج ومأجوج أن يصعدوا السد، فما استطاعوا، لارتفاعه..

حـاولوا أن يخرقـوه، فمـا اسـتطاعوا بعـد، لقـوة صـلابته وتماسـكه، وإحكـام بنائـه، ومتانته.

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف: ٩٧]

**** التاريخ الزمنى لهذه الأحداث:**

ذكرنـا أن ذا القـرنين هـذا الـذى ذكـره القـرآن الكـريم لـيس هـو الإسـكندر الأكبـر المقدونى.

فشتان بين الاثنين: الأول كان عبدًا صالحًا مؤمنًا، اهتدى لـه الكثير من أهل الشرق والغرب، أمـا الإسكندر الأكبر، فكـان قائـدًا حربيًـا، لـم يعـرف الهدايـة.. ويقـال إنـه كـان سكيرًا.

وعلى ذلك، فإن ذا القرنين الذى نحن بصدد الحديث عنه ليس معلومًا لنا نسبه، ولا الزمن الذى عاش فيه، ولم يكن نبيًا، ولذلك يحتمل أنه عاش فى فترة خلت من النبوة، ومن المحتمل أن تكون الفترة الزمنية التى عاش فيها ذو القرنين، كانت قبل دعوة إبراهيم ﷺ، وخلال دعوة هود فى جنوب شبه الجزيرة العربية، وصالح فى غربها، يمكن أن نقول إن زمن ذى القرنين كان حوالى من ٢٣٠٠ق. م حتى ٢٠٠٠ق. م (١).

فمعروف أن يافث بن نوح قد هاجر إلى هذه المنطقة، بعد انتهاء الطوفان، واستقر فيها هو وأحفاده، وتكاثروا.

هذا مجرد اجتهاد فى موضوع لم يذكر القرآن الكريم تفاصيله، ولم يرد فى العهد القديم معلومات عنه، ولم تكشف حقائق التاريخ النقاب عنه، ولعل الأيام القادمة تفسر لنا كثيرًا مما غمض عن عقولنا.

يذكر التاريخ أيضًا أن سكان هذه المنطقة، كان منهم التتار والمغول الذين هاجموا الوطن العربى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى.. كان منهم جنكيزخان سنة ١١٥٥م - سنة ١٢٢٧م، وهولاكوا سنة ١٢١٧ - ١٢٦٥ م، ولم ينقذ الوطن العربى من شرورهم إلا رجال مصر الذين انتصروا عليهم فى عدة مواقع وطاردوهم.

استطاع هؤلاء المغول أن يخرجوا من المناطق حول السد المجاور للجبلين التى تآكلت بفعل عوامل التعرية، اخترقوها دون أن يستطيعوا اختراق السد، سد ذى القرنين.

---

(١) هذا مجرد استنتاج لمجريات أحداث التاريخ.

**** موقــع هذا المكــان:**

سد ذى القرنين بُنِيَ فى التركستان الروسية.. تلك المنطقة التى تقع فى وسط آسيا [١].

فى هذه المنطقة: تكثر الجبال مثل: جبال بنطس جنوب البحر الأسود، وجبال البرز التى تقع جنوب بحر قزوين، وجبال القوقاز التى تصل بين البحر الأسود وبحر قزوين.. والتى كانت بها فتحة داريال، تلك الفتحة التى سدها ذو القرنين، ليحمى سكان الجنوب من هجمات الشمال.

هذه الجبال: هى جبال التوائية، ترجع إلى حركة التواء حدثت فى الزمن الثالث الجيولوجى.

فى هذه المنطقة توجد الأنهار التى تنبع من قمم الجبال نتيجة لذوبان الجليد فى فصل الربيع، هذا الجليد تكون فى فصل الشتاء، هذه الأنهار مثل نهر سيروس، ونهر أركس، وهما يصبان فى بحر قزوين.

شمال هذه المنطقة توجد منطقة غنية بالحديد، الذى أقيمت عليه عدة مصانع روسية، فى هذه المنطقة لوفرة معادنها، وكثافة السكان بها فى منطقة جبال أورال.

* * * * *

(١) الأطلس العربى ص ٥٠.

أور

القرية التى عتت عن أمر ربها

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

فى قرية أور.. إحدى قرى، أو مدن الدولة (الكلدانية) ولد سيدنا إبراهيم [(١)].

كان أبوه آزر يشتهر بإجادته صنع التماثيل التى كان يعبدها قومه، ويتخذونها آلهة من دون الله.

لكن إبراهيم لم يرض عما يعبده قومه. رفض عبادة هذه الآلهة التى يصنعها أبوه، والتى لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعى ما يدور حولها. وراح يبحث عن الله.

بشفافية إيمانية.. أدرك أن الشمس والقمر والنجوم.. ليست هى الله الذى خلق هذا الكون بما فيه ومن فيه، لأن الشمس تظهر نهارًا، وتختفى ليلاً، القمر يظهر فى بعض الليالى دون ليال أخرى.. وتلك النجوم تظهر فى الليل، وتختفى فى النهار.

اهتدى إبراهيم إلى الله الواحد الذى خلق الكون، وأحسن تدبيره.

لذلك، قرر إبراهيم تحطيم هذه الأصنام التى يعبدها قومه.

ذات يوم عيد.. كان يحتفل به الشعب، يشاركهم ملكهم النمرود [(٢)].

---

(١) هو إبراهيم بن آزر بن ناحور بن سروج ينتهى نسبه إلى حام بن نوح عليهما السلام، هو أحد أولى العزم من الرسل. أنزل الله عليه صحفًا بها دعوة إلى عبادة الله وحده. يعرف باسم (أبو الأنبياء).

(٢) النمرود: وقيل كان اسمه أورنيمو بن كوش.. ينتهى نسبه إلى حام بن نوح. كان ملك الكلدانيين، عرف بولعه بالصيد، وكان خصمًا لسيدنا إبراهيم. (المنجد ص٥٤٠).

بعد أن انتهى الملك والشعب من السجود للآلهة؛ وتقديم القرابين لها؛ خرجوا للاحتفال بعيدهم، وكادت المدينة أن تكون خالية.

انتهز إبراهيم هذه الفرصة، ودخل المعبد، وحطَّم الأصنام ما عدا كبيرهم مردوخ، فعلق الفأس فى عنقه.

وحينما انتهت الاحتفالات بالعيد.. عاد القوم، فساءهم ما حدث لآلهتهم، وعلموا أن الذى فعل هذا هو إبراهيم بن آزر.

قبضوا على إبراهيم، وسألوه:

﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فى ثقة قال إبراهيم:

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣].

لم يستطع الشعب، ولا الملك مواجهة إبراهيم، فاتفقوا على أن يحرقوه، فقبضوا عليه، وأشعلوا النار فى الحفرة، وألقوا فيها إبراهيم.. وتركوه فى النار عدة أيام، لكنهم فوجئوا بعد أن انتهت النار أن إبراهيم لم يحترق.. بقى سليمًا.. أنقذه الله من النار.

حدث نقاش بين الملك وإبراهيم:

سأل الملك إبراهيم:

- من ربك؟

قال إبراهيم:

- ربى الذى يحيى ويميت.

قال الملك:

- فأنا أحيى وأميت.

وجاء الملك بسجينين، أطلق أحدهما حرًا، بينما أمر بقتل الآخر، والتفت إلى إبراهيم وقال لـه:

- أرأيت؟ أنا أحيى وأميت مثل إلهك.

قال إبراهيم:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بهت الذى كفر

وهكذا انتهى الحوار بين إبراهيم والملك، لكن الملك أمر بقتل إبراهيم، فأخبر الله نبيه بالخروج من المدينة، فهرب إبراهيم ومن آمنوا بالله، واتجهوا إلى الشمال، ومنها إلى فلسطين (أرض كنعان).

بسبب موقف الملك ورجاله، وأهل أور الذين عصوا رسول الله إبراهيم، وحاولوا الخلاص منه.. ضعفت الدولة الكلدانية، وأصابها الخور والهوان، مما كان فرصة لجيرانها لمهاجمتها فى عاصمتها بابل، هاجمها العيلاميون الذين كانوا يسكنون في الشرق والآموريون الذين كانوا يسكنون فى الشمال، والذين عرفوا بعد ذلك (بالأشوريين).

لقد شاء الله أن ينتقم لرسوله إبراهيم، بخراب أور، تلك القرية التى عتت عن أمر ربها وعاصمتها بابل.

** زمن هذه الأحداث:

من دراسة لتاريخ بلاد الرافدين القديم (العراق) ذكر بعض المؤرخين [١] لقصص الأنبياء أن إبراهيم عليه السلام كان مولده سنة ١٩٩٧ ق. م وتوفى سنة ١٨٢٢ ق. م وكانت بعثته سنة ١٩٠٠ ق. م [٢] أى أن هذه الأحداث وقعت خلال هذه الفترة، وإن كان سقوط الدولة الكلدانية وعاصمتها بابل كان بعد ذلك، ومعروف أن إبراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين، ولعله علم أخبار ما وقع لقومه ولقريته وعاصمة دولته التى كان يعيش فيها.. ومن الطبيعى هلاك الملك النمرود الذى يقال: أن بعوضة دخلت أنفه، كانت تسبب له صداعًا، لا يوقفه إلا ضربه على رأسه.

** موقع المكان:

أما أور حيث كان مولد إبراهيم، فهى مدينة تقع على نهر الفرات فى أدناه وجدت فيها آثار من أسلحة ذهبية وكنوز، وفيها منطقة مرتفعة اسمها زقور. أقام عليها الملك أورنيمو برجًا، كان يريد أن يصعد إليه ليرى إله إبراهيم الذى أنقذه من النار.

* * * * *

---

(١) تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

(٢) المنجد ص ٥٦.

مكــة

أم القـــــرى

حيث عاش إسماعيل عليه السلام وبنى إبراهيم عليه السلام الكعبة

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ٣].

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

كثير من الأحداث وقعت فى مكة بأسمائها المتعددة (١).

تذخر مكة بما وقع فيها من أحداث كثيرة ومتنوعة خلال تاريخها الطويل.

إليها جاء إبراهيمعليه السلام بصحبة زوجه هاجر وابنهما إسماعيل عليهما السلام، حيث كانت هاجر أول من استوطن مكة، وأنشأوها كمقر وموطن لحياة بشرية على الأرض مع ابنها فى واد غير ذى زرع، فلا أمطار ولا أنهار.

وفى مكة أنبع الله بئر زمزم، ليكون ماؤها ريا لحجاج بيت الله الحرام وزواره.

وفى ضاحية من ضواحى مكة، حيث يقع عرفات، وجبل ثبير، كانت قصة الفداء المعروفة الذى افتدى الله إسماعيل بذبح عظيم (٢).

وفى مكة اشترك إبراهيم وإسماعيل وهاجر وغيرهم من سكانها فى رفع قواعد البيت الحرام الكعبة المشرفة.

وفى مكة كانت هزيمة أبرهة ملك الحبشة، الذى سَوَّلَ له الشيطان هدم الكعبة.

وفى مكة كان مولد محمد بن عبد الله وبعثته، وهو خاتم الأنبياء.

ومن مكة كان مسرى محمد إلى بيت المقدس، ومعراجه إلى السموات العلا.

---

(١) من أسماء مكة:

* بكة: لأنها تبك (تقصم ظهر من أراد بها سوءًا) كما حدث لأبرهة ملك الحبشة.
* أم القرى: لأنها أصل بداية العالم، خلقها الله، ودحى الأرض من حولها.
* البلد، والبلد الأمين.
* واد غير ذى زرع.

(٢) حاول اليهود أن يغيروا الحقيقة، فسجلوا فى كتابهم العهد القديم فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين أن الذبيح هو إسحاق، هذا خطأ، فقد كان صاحب قصة الفداء هو إسماعيل، لأنه كان فى ذلك الوقت وحيد أبيه، ومعروف أن هاجر أنجبت ابنها إسماعيل، قبل أن تنجب سارة ابنها إسحاق بأكثر من ثلاث عشرة سنة.

ومكة هى التى فتحها رسول الله سنة ٨هـ، وكان فتحًا مبينًا.

وما تزال مكة رمزًا لدين الإسلام، وستبقى على مدى السنين والأعوام.

وإلى مكة يتجه الناس للحج والعمرة.

**** تاريخ مكـة :**

ترجع أحداث بداية نشأة مكة إلى حوالى سنة ١٩١٠ ق. م، فمعروف أن إسماعيل كان مولده سنة ١٩١١ ق. م.

وحين ذهب إسماعيل مع أمه وأبيه، كان ما يزال طفلاً.. بل لعله كان ما يزال رضيعًا، أى كان عمره تقريبًا عامًا.

حين وصل إبراهيم مع زوجه هاجر وابنهما إسماعيل.. أنزلهما إبراهيم فى أرض خالية، ليس فيها حياة بشرية أو نباتية، وخالية من أى نشاط اقتصادى أو عمرانى.

ولذلك تعتبر هاجر وابنها إسماعيل أول من سكن هذه المنطقة، منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام.

وتذكر صفحات التاريخ أن إبراهيم بعد أن بنى لزوجه وابنه عريشًا، تهيَّأ للعودة إلى أرض كنعان (فلسطين)، فقالت له زوجه هاجر:

- يا إبراهيم.. أتتركنا وحدنا فى هذا المكان؟!

فقال لها إبراهيم:

- الرب معكما.

قالت هاجر فى إيمان بالله:

- فالله لن يضيعنا.

وما يملك إبراهيم، وهو يحتبس حزنه وعواطف أبوته فى قلبه على ولده وزوجه، إلا أن ينادى ربه:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثم شاء الله أن ينبع عند قدمى إسماعيل بئر زمزم [١] وحامت عليها الطيور، التى دفعت بعضًا من رجال قبيلة جرهم الذين كانت أغنامهم ترعى كلأ فى المنطقة، سألوا هاجر أن تسمح لهم بالبقاء فى هذا المكان، ليكون هذا بداية لعمران المنطقة (مكة).

وتتابعت الأيام، وبنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة، وأمره الله أن يؤذن للناس بالحج إلى بيت الله.

تحركت الوفود إلى مكة للزيارة والطواف، وازداد عمران المنطقة، واتسعت.. وازداد اتساعها على مدى الأزمنة، لتصبح مدينة لها سكانها من الدول وخاصة دول العالم الإسلامى. انظر صورة لمكة تظهر فيها الكعبة.

**** موقـع المكـان:**

تقع مكة فى غرب المملكة العربية السعودية بأرض الحجاز، فى واد تحيط به بعض الجبال مثل جبل قبيس، جبل المقطع، جبل أسلع، جبل عمر وجبل حراء.

وترتفع مكة عن سطح البحر بحوالى ٣٠٠ مترًا.

فلكيًا تقع مكة عند تقاطع خط الطول ٥٠ ¯ ٣٩ ° شرقًا، ودائرة العرض ٣٠ ¯، ٢١ ° شمالاً.

ولمكة ثلاثة مداخل: المعلاة (الحجون) والشبكة والمسفلة. انظر شكل (٥).

وتقع الكعبة والمسجد الحرام فى مكة.

---

(١) انظر ما جاء فى هذا الكتاب ص٣٧ عن الصفا والمروة.

تبعد مكة عن الرياض عاصمة السعودية حوالى ٨٥٠ كم وعن المدينة المنورة حوالى ٧٠٠كم.

مكة سياسيًا وإداريًا تتبع المملكة العربية السعودية، وهى وما أحاط بها حرم آمن.

من حيث المناخ. مناخها صحراوى، حار طول العام، نادر المطر، والمدى الحرارى اليومى والفصلى كبير فى مكة.



صورة لمكة المكرمة، تظهر فيها الكعبة

الصَّفَا والمَرْوَة

سعت بينهما هاجر

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

عرفت الأحداث طريقها بين الصفا والمروة منذ قدم إبراهيم وهاجر وإسماعيل إلى تلك البطحاء التى تقع فى واد غير ذى زرع، والتى عرفت بعد ذلك باسم مكة.

١) لم يمض غير قليل على رحيل إبراهيم من مكة.. ربما مضى يوم أو بعض يوم، حين أدركت هاجر ظمأ ابنها.. فهرعت إلى سقاء الماء، لكن لهفتها تكسَّرَت، حين وجدت السقاء فارغًا، لا يبض بقطرة ماء واحدة.

لحظات قاسية عاشتها هاجر، وهى تتلفت حولها، فلا ترى إلا رمالاً وحصباء تغطى المنطقة، رمال وحصباء أكثر ظمأ من ابنها، وما عرف عن الحصباء أو الرمال أنها تبض ماء.

تركت هاجر ولدها، وخرجت تنظر فى الأفق المترامى حولها، لعل قافلة تجارة تراها.. يكون مع رجالها بعض ماء.

اعتلت هاجر جبل الصفا.. تنظر الفضاء، فرأت عند جبل المروة كأن لجة ماء!!

أسرعت هاجر إلى الصفا.. يملأها الأمل.. تسير حينًا، وتهرول أخرى، حتى إذا وصلت إلى المروة لم يكن ما رأته إلا سرابًا، يحسبه الظمآن ماءً!!

سبع مرات سارت هاجر بين الصفا والمروة، حتى إذا أنهكها طول السعى، ومشقة الطريق والحزن.. عادت إلى إسماعيل، تنتظر قضاء الله فيه، فإذا ابتسامة تملأ وجهه، وإذا نبع ماء عند قدميه، ينساب ماؤه صافيًا.. عذبًا، فراحت تغرف منه بكفيها، وتسقى

ابنها، وملأتها السعادة، وهى تروى ظمأها.. تكفكف دموعها فى عينيها.

وما كانت تدرى أنها مشيئة الله شاءها، لقدرٍ قدَّرَهُ فى سجلات الخلود.

كان سعى هاجر بين الصفا والمروة أول حدث بين الجبلين، وما كانت هاجر تدرى وهى تسير أو تُهَرْوِل بينهما أن هذا السعى سيكون شعيرة من شعائر الحج والعمرة لدين حفيدها محمد بن عبد الله ﷺ.

ومضت الأيام.. والصفا والمروة على حالهما كما عرفهما أهل مكة وزوارها.

٢) حتى كان ذات يوم..

شق رداء الصبح صوت صاف من فوق جبل الصفا.. ينادى:

- يا معشر قريش.. يا بنى هاشم.. يا بنى مخزوم.. يا بنى عبد المطلب.. إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى، وإنى لا أملك لكم من الله فى الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبًا، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله.

كان الصوت هو صوت محمد بن عبد الله الذى بعثه الله رسولاً إلى قومه، فاستمر يدعوهم إلى الإسلام سرًا ثلاث سنوات، حتى أمره الله أن يجهر بدعوته، حين أنزل الله عليه قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

هكذا كان جبل الصفا، أول منبر لرسول الله، أعلن منه عن دعوة الإسلام.

٣) ذات يوم..

عند الصفا أساء أبو جهل إلى رسول الله بالقول، وضربه بحجر، فشج رأسه، فما كاد يعلم حمزة بن عبد المطلب ما وقع لابن أخيه، حتى لطم أبا جهل على وجهه، وكاد يفتك به، وكان هذا الحدث بداية لإسلام حمزة.

٤) يوم فتح مكة..

اجتمع كفار قريش عند الصفا، يطلبون صفح محمد والعفو عنهم، يومها قال الرسول لهم:

- اذهبوا، فانتم الطلقاء.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

بالنسبة لسعى هاجر بين الصفا والمروة، فقد حدث هذا كما ذكرنا فى الحديث عن مكة أن عمر إسماعيل كان عامًا تقريبًا، وأن مولده حوالى سنة ١٩١١ ق. م.

إذن زمن سعى هاجر بين الصفا والمروة، كان حوالى سنة ١٩١٠ ق. م.

بالنسبة للزمن التاريخى الذى أعلن فيه محمد رسول الله ﷺ عن دعوته إلى الإسلام جهرًا كان ذلك سنة ٦١٣ م، معروف أن البعثة المحمدية كانت سنة ٦١٠ م، والجهر بها كان بعد ثلاث سنوات.

بالنسبة لإسلام حمزة بن عبد المطلب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان سنة ٦ من البعثة المحمدية أى سنة ٦١٦م.

أما فتح مكة، وعفو الرسول ﷺ عن الذين أذوه، كان فى١٠رمضان سنة ٨هـ (٦٣٠م)

**** موقع الصفا والمروة:**

١) جبل الصفا: جبل صغير أشبه بأكمة.. يقع فى جنوب شرق مكة، على بعد حوالى ١٣٠ مترًا من الكعبة، ومنه يبدأ السعى.

٢) جبل المروة: جبل صغير من حجر المرو، يقع شمال شرق مكة على بعد حوالى ٣٠٠ م من الكعبة، وإليه ينتهى السعى.

وقد اهتم السعوديون بالمسعى بين الصفا والمروة، فتم تبليطه وتسقيفه، وإنارته ووضعوا علامات لمنطقة الهرولة فى السعى، وجعلوا له عدة أبواب، منها أبواب تشرف على المسجد الحرام، ليسهل الوصول بين المسجد والسعى.

الكعبة المُشَرَّفَة

بيـــت اللــــه الحــــرام

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

أقامت هاجر وابنها إسماعيل بمكة، بعد أن استودعهما إبراهيم ربه، واتسعت مكة بإقامة الجراهمة، يرتوون من مياه زمزم.

وشاء الله أن يزداد عدد سكان مكة على مر الأيام، واتسعت فيها الدور والخيام.

حتى كان ذات يوم..

قدم إبراهيم عليه السلام من أرض كنعان، حيث كانت تعيش زوجه سارة وابنهما إسحاق.. جاء إبراهيم لزيارة زوجه هاجر وولده إسماعيل، جاء لمهمة كلفه الله بها.

فى جلسة تسودها عواطف الأبوة والبنوة، قال إبراهيم لإسماعيل:

- يا إسماعيل.. إن الله أمرنى أن أبنى لـه بيتًا.

وأشار إبراهيم إلى أكمة حمراء قائمة على غير بعيد من بئر زمزم، وقال:

- هنا فوق هذه الربوة الحمراء، على أن تعيننى.

قال إسماعيل لأبيه:

- فأطع ربك فيما أمرك به، وستجدنى عونًا لك.

بدأ إسماعيل وإبراهيم وبعض رجال جرهم الذين كانوا يسكنون مكة يرفعون بقايا الأحجار الكثيرة التى كانت تعلو الربوة، حتى بدت قواعد البيت راسخة ثابتة كأسنام الإبل.

ثم بدأ الجميع يجمعون الأحجار من الجبال حول مكة: جبل قبيس، وجبل حراء، وجبل خندمة، وجبل عمر... وغيرها، ثم بدأوا عملية البناء.

كان إبراهيم يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة، والرجال يأتون له بالأحجار، ويعدون له المونة، وهاجر تهيئ لهما وللرجال الطعام والشراب والجميع سعداء بما يعملون.

وكان الجميع يبنون، وهم ينادون ربهم:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

ارتفع بناء جدار الكعبة.. فأتوا لإبراهيم بحجر[١] صعد عليه، واستمر يقوم بالبناء، وإسماعيل يناوله، والرجال يحملون الأحجار من كل مكان، حتى وصل الارتفاع بين سبعة وتسعة أذرع.

نظر إبراهيم إلى البناء، فوجد فيه مكانًا فارغًا للبنة، فقال لإسماعيل:

- إذهب يا إسماعيل، فابغ لنا حجرًا، أجعله علامة للناس.

لكن إسماعيل طال به الوقت دون أن يحضر، فبعث الله جبريل إلى إبراهيم بحجر [٢] أعطاه له، ليكتمل بناء الكعبة.

وهكذا تم بناء الكعبة، وصعد إبراهيم، ونادى:

- أيها الناس.. كتب الله عليكم الحج إلى بيته فحجوا [٣].

ولدهشة إبراهيم سمع أصواتًا تجيب:

---

(١) هذا الحجر هو الذى عرف بعد ذلك باسم مقام إبراهيم، وسنتحدث عنه بعد ذلك.
(٢) هذا الحجر يعرف اليوم بالحجر الأسود، وعنده يبدأ الطواف حول الكعبة.
(٣) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.

- لبيك اللهم لبيك.

كم سعد إبراهيم وإسماعيل وهاجر وأهل مكة بما حققوه من طاعة لله ولرسوله إبراهيم، وكان هذا بداية مرحلة جديدة فى تاريخ بناء الكعبة مما سيكون لها أثر على مجريات الأحداث بعد ذلك فى مكة.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

لم يكن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة، ولكنه هو الذى رفع قواعدها.

أما من هو أول من بنى الكعبة، فقد اختلفت الآراء:

قال بعض الرواة: إن الملائكة هم أول من بنوا الكعبة، بنوا هذا البيت تحت البيت المعمور الذى فى السماء، والذى يطوف حوله الملائكة.

وبعض الروايات تقول: إن آدم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة، أمره الله بذلك، ليكون بيتًا يطوف حوله بنو البشر فى الدنيا.

وفى روايات أخرى أن أول من بنى الكعبة هو شيث بن آدم عليهما السلام، كان ذلك حوالى سنة ٤٠٠٠ ق. م.

ثم كان البناء الذى رفع قواعد البيت فى عهد إبراهيم عليه السلام.

وبدراسة حياة إبراهيم وإسماعيل، وكما قلنا أن مولد إسماعيل كان حوالى سنة ١٩١١ ق. م[1]، وأنه حين جاء مع أبيه وأمه إلى مكة، كان عمره عامًا أى سنة ١٩١٠ ق. م. ويمكن أن نقول.

إن بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة كان حوالى سنة ١٨٩٠ ق. م بعد أن اكتمل إسماعيل قوة وشبابًا.

وتتابعت بعد ذلك إعادة بناء الكعبة عدة مرات، فقد أعاد الجراهمة بناءها.

---

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

وكان من أهم المرات التى أعيد فيها بناء الكعبة.. قبل ظهور الإسلام بحوالى ٥ سنوات. أى سنة ٦٠٥ م.

كانت الكعبة قد تهدمت بسبب ما أصابها من سيول الأمطار التى صَدَّعَت جدرانها، فاتفق رجال قريش يتزعمهم الوليد بن المغيرة على هدم الكعبة وإعادة بنائها [١]، وكان لمحمد ابن عبد الله موقف محمود، حين اختلف رجال قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، فاحتكموا إلى محمد ﷺ الذى استطاع أن يرضى الرجال بحكمته، وجنَّب القوم شر القتال.

ولا ننسى ونحن بصدد الحديث عن الكعبة، محاولة أبرهة ملك الحبشة الذى جاء إلى مكة ليهدمها، فكانت نهايته، وكان فشله فيما أراد، وحمى الله الكعبة من أبرهة ورجاله رغم ما كان يملؤها من أصنام، اتخذها رجال قريش آلهة لهم!!

ثم كانت ضربات الحصين بن نمير للكعبة فى عهد يزيد بن معاوية، حين تحصن بها عبد الله بن الزبير[٢]، ضربها الحصين بالمنجنيق وكرات النفط الملتهبة، فتهدمت واحترقت، فأعاد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة سنة ٦٤ هـ، وعدل فيها بعض التعديلات، فارتفع بالباب الشرقى وسد الباب الغربى.

ولما تولى عبد الله بن مروان الخلافة، فكَّرَ أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها على ما كانت عليه قبل الإسلام، ولكن العلماء ومنهم مالك بن أنس، نصحوه ألا يفعل، حتى لا تكون الكعبة فرصة يتلاعب بها الحكام.

واستمر اهتمام المسلمين بالكعبة على مدى العصور التاريخية، اهتم الأمين بن الرشيد بكسائها، واهتم بها حكام مصر فى عهد محمد علىّ، وأعيد ترميم الكعبة فى عهد السلطان العثمانى مراد الثانى سنة ١٠٤٠ هـ.

---

(١) راجع كتاب تاريخ الكعبة والمسجد الحرام فى عهد إبراهيم عليه السلام. للمؤلف: إصدار دار الفرقان.
(٢) عبد الله بن الزبير، ابن السيدة أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين).

وحينما تولى السعوديون حكم الحجاز، كان اهتمامهم بالكعبة كبيرًا خصوصًا فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الذى أولى عناية خاصة بالكعبة والمسجد الحرام، ومما يذكره له التاريخ أنه فى عهده تم ترميم الكعبة سنة ١٤١٧ هـ ترميمًا شاملاً، فيه تمت تقوية أساس الكعبة وصقل جدرانها وسد الفجوات بين الأحجار، وتم تغيير سقف الكعبة بسقفين جديدين. انظر صورة الكعبة

**** موقع الكعبة :**

تقع الكعبة المشرفة فى مدينة مكة المكرمة، وهى إحدى المعالم الهامة فى المدينة. وقد سبق أن ذكرنا موقع مكة الجغرافى والفلكى.



صورة للكعبة

* * * * *

مقــام إبراهيــم

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان وتاريخيها (١) :**

المقصود بمقام إبراهيم: موضع قدميه على الحجر الذى كان يقف عليه، وهو يبنى الكعبة.

فحينما ارتفع بناء الكعبة عن قامة إبراهيم ؑ، كان عليه أن يعتلى حجرًا، ليكمل الجزء الأعلى من جدار الكعبة، فجاءوا له بحجر، اعتلاه، وكان يحركه من مكانه حيث يكون البناء، وكلما ارتفع البناء ارتفع الحجر، حتى انتهى إبراهيم ؑ من بناء الكعبة.

واضح على الحجر غوص قدمى إبراهيم ؑ فيه، وهو يقوم بالبناء.. حافيًا غير منتعل، ويقال أن عمق إحدى القدمين فى الحجر ١٠ سم، وعمق القدم الأخرى ٩ سم، وإن لم تظهر آثار أصابع القدمين، لأن المقام استمر مكشوفًا فى العراء مدة طويلة، فانطمست معالم تفصيل الأصابع على مر الزمن وطوله، ولمس الأيدى له.

طول قدمى إبراهيم ؑ ٢٢ سم والعرض ١١ سم، مما يدل على أن إبراهيم ؑ كان طويل القامة.

وشاء الله أن يحفظ بصمة قدمى إبراهيم على هذا الحجر منذ بدء بناء الكعبة حتى وقتنا هذا، وخلال ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة، دون غيره من الأنبياء. حفظه الله رغم تعرضه للسيول التى كثيرًا ما كانت تجرفه معها، كما حدث فى سيل أم نهشل، حينما جرف المقام بعيدًا عن مكانه، فلما جف المطر، وجدوا المقام بأسفل مكة، فجاءوا به إلى عمر بن الخطاب ؓ ووضعه فى مكانه.

---

(١) رأيت فى هذه القصة أن أقرن الأحداث بأزماتها، لتعدد هذه الأحداث.

وشاء الله ألا يتخذ رجال قريش المقام أحد آلهتهم كما كانوا يفعلون فى أحجار أخرى.

قال بعض الرواة: إن هذا الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة، واستدلوا على ذلك بحديث لرسول الله ﷺ أنه قال: ((الركن والمقام ياقوتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين الشرق والغرب)) [(١)].

تستحب الصلاة عند مقام إبراهيم لقوله تعالى:

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥].

على أن يجعل المُصَلِّى المقام بينه وبين الكعبة، ولا يجوز المسح على المقام، أو تقبيله.

وكان أول من اقترح الصلاة عند مقام إبراهيم عمر بن الخطاب، فصدقه الله بقوله تعالى:

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥].

يعتبر مقام إبراهيم آية بينة من آيات الله، ومعجزة لإبراهيم عليه السلام. عنده يستجاب الدعاء.

وقد أقيم المقام على قاعدة من المرمر، مثبتة على قاعدة مربعة أخرى أكبر، طول ضلعها ١٣٦ سم.

فكر السعوديون مؤخرًا فى إقامة حجرة للمقام. فى مكان آخر بعيدًا عن حرم الطواف، حتى لا يعوق حركة الطوافين، فاقترح الشيخ الشعراوى رحمه الله وضعه فى مكانه فى مقصورة زجاجية، لا تأخذ حيزًا كبيرًا فى دائرة الطواف، حتى لا تعوق الحركة. واستجاب العلماء، ووافقوا الشيخ الشعراوى على اقتراحه، وتم له ما أراد.

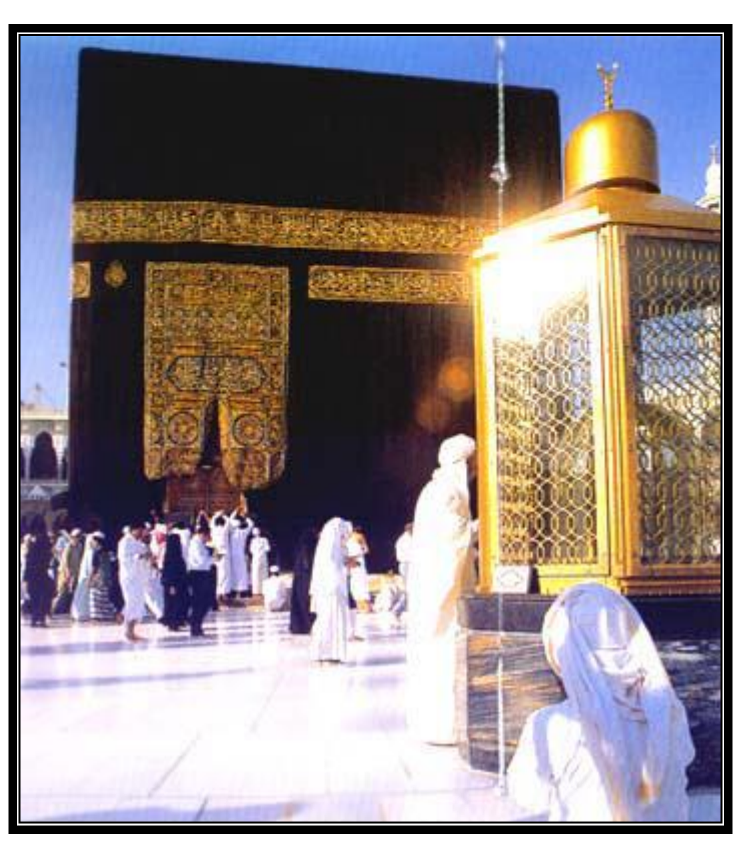
---

(١) رواه ابن حبان ٣٧١٠، والسنن الكبرى للبيهقى ٧٥/٥.

فوُضع الحجر داخل غطاء من الزجاج الفاخر مع حاجز حديدى وقاعدة رخامية ١٨٠سم × ٢٣٤ سم، بذلك قلت مساحة المكان الذى يعوق حركة الطواف. انظر الصورة.

**** موقع مقام إبراهيم:**

تقع مقصورة المقام على بعد ١٤ مترًا من الحجر الأسود، ١٤ مترًا من الركن الشامى.



صورة لمقصورة مقام إبراهيم في الوقت الحاضر

المؤتفكات

قرى قوم لوط

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٩].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

خرج إبراهيم عليه السلام من أرض أور بجنوب العراق، حيث كان يعيش، بعد أن تآمر عليه الملك النمرود والكفار، وحاولوا إحراقه، لكن الله جعل النار بردًا وسلامًا عليه.

هاجر إبراهيم من أور أرض حاران فى شمال العراق ومعه زوجه سارة، وابن أخيه لوط (١) الذى قال:

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩].

فى حاران مات آزر أبو إبراهيم كافرًا.

ثم اتجه موكب إبراهيم ومن آمنوا به من أرض حاران إلى بلاد الشام واستقروا في أرض الكنعانين.

افترق لوط عن عمه إبراهيم فى أرض الكنعانيين، حيث استقر فيها إبراهيم. بينما بعث الله لوطًا رسولاً إلى عدة قرى فى جنوب الشام، سنذكرها فيما بعد.

---

(١) هو لوط بن هاران بن آزر بن ناحور.. ينتهى نسبه إلى نوح عليه السلام.

عُرف عن المنطقة التى بعث الله إليها لوطًا أنهم كانوا قومًا كافرين، سيئى الأخلاق.. يأتون فى ناديهم المنكر، ويأتون الذكران من العالمين، ويقطعون الطرق على المسافرين.

حاول لوط أن يدعوهم إلى الله، والإيمان به، وأن يتركوا سوء ما يفعلون، ولكنهم رفضوا، واستمروا على كفرهم وآثامهم، وما جُبِلُوا عليه من فسق، لتمضى بهم الأحداث كما شاءها الله.

وعادت الحياة تمضى بإبراهيم عليه السلام فى أرض كنعان مع زوجه سارة.

خلال تلك الفترة.. زار بعض الملائكة إبراهيم عليه السلام، وبشروه هو وامرأته سارة بغلام حليم.. هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

وفى هذه الزيارة، أخبر الملائكة إبراهيم أنهم جاءوا لمهمة خاصة، وهى عقاب قوم لوط؛ بسبب كفرهم، وسوء أخلاقهم.

كانت امرأة لوط (١) مع أنها زوجة نبى، إلا أنها عصت الله، وانضمت إلى قومها فى سوء ما يفعلون، بل كانت تدلهم على زوار زوجها لوط بإشعال النار فى دارها.

زار الملائكة لوطًا فى داره، وسرعان ما عرف القوم بمقدمهم، فهرعوا إلى داره يريدون أن يأتوا الفاحشة مع زواره، وهم لا يعلمون أنهم ملائكة.

حاول لوط أن يصرف قومه، فقال لهم:

﴿ هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝٧٨ ﴾ [هود: ٧٨].

أخبر الملائكة لوطًا بحقيقة مهمتهم، وأن عليه هو ومن آمنوا بربهم أن يبتعدوا عن هذه القرية، وسيأخذ الله الكافرين بكفرهم، ويصيبهم بعذابه.

---

(١) ذكر القرآن الكريم امرأة لوط كمثال للكفر هى وامرأة نوح فى قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ ﴾ [التحريم: ١٠].

وطلب الملائكة من لوط والمؤمنين ألا يلتفتوا خلفهم، وأن يمضوا فى طريقهم.

وقبل أن يشرق فجر اليوم التالى.. سمع المؤمنون صيحة، فلم يلتفتوا خلفهم، إلا امرأة لوط، فقد التفتت خلفها، فأصابتها الصاعقة، وماتت على كفرها.

رفع جبريل قرى قوم لوط على جناحه، وقلبها.. جعل أعاليها أسفلها، وأسفلها أعاليها.. تفككت وانقلبت، فسميت هذه القرى كما ذكرها القرآن الكريم بالمؤتفكات.

**** زمن هذه الأحداث:**

من خلال الدراسة لتاريخ الأنبياء، قال الرواة: إن الفترة التى عاشها لوط كانت من سنة ١٩٥٠ ق. م إلى سنة ١٨٩٠ ق. م وأن نبوة لوط كانت سنة ١٩٠٠ق.م.

.. هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١٨٩٥ق. م إلى سنة ١٨٧٠ق. م، وقد توفى لوط ودفن فى صوغر [1].

**** موقع مكان هذه القرى:**

ذكرنا أن لوطًا ترك عمه إبراهيم، واتجه إلى جنوب الشام حيث كانت توجد قرى سدوم وعمورة وصوغر بالإضافة إلى قرية أخرى اسمها عظمى وهى التى عناها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

تقع هذه القرى جنوب البحر الميت الذى كان يعرف باسم بحر لوط، تحيط بها عدة دويلات صغيرة: المؤابيون والعمونيون فى الشرق، والكنعانيون فى الغرب، ثم مملكة أدوم فى الجنوب.

وهنا يجب أن نذكر حقيقة هامة، وهى أن بعض المؤرخين قالوا: إن منخفض البحر الميت حدث أثناء عقاب قوم لوط.

---

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥١.

الجُـــبّ

الذى ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف عليه السلام

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

حقد أبناء يعقوب [١] على أخيهم يوسف [٢]، لما يناله من مزيد الحب والاعتزاز من أبيه، واشتد حقدهم وغضبهم عليه حينما علموا بما رآه فى حلمه، وأنه سيكون خليفة أبيه فى النبوة.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف: ٤].

تآمر أبناء يعقوب [٣] على أخيهم يوسف، للخلاص منه؛ ليخلو لهم وجه أبيهم.

استطاعوا أن يقنعوا أباهم أن يأخذوا معهم أخاهم يوسف، يلعب معهم فى مراعيهم، وتعهدوا لأبيهم بالحفاظ عليه من كل سوء، ورغم مخاوف يعقوب على ابنه يوسف، إلا أنه وافقهم على ما أرادوه، إنها مشيئة الله لحكمة أرادها، ولقدر قدره فى سجلات الخلود، بعد أن تعهدوا لأبيهم بالمحافظة عليه، وعدم تعرضه للأخطار، وإعادتهم إليه سليمًا، سعيدًا برحلته معهم.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

(٢) يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال عنه رسول الله: ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)).

(٣) وأبناء يعقوب هم: راؤوبين، شمعون، لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون، دان، نفتالى، جاد، أشير بالإضافة إلى يوسف وأخيه الأصغر بنيامين.

اصطحب أبناء يعقوب أخاهم يوسف معهم، وكان سعيدًا، بعد أن ألبسه أبوه قميصًا جديدًا، وأعطاه زادًا من الطعام والشراب، وزوده بكثير من النصائح والوصايا الطيبة.

كان أبناء يعقوب يعيشون فى شمال يبوس [١] (أورشليم) وكانت مراعى ومزرعة يعقوب فى منطقة قرب شكيم (نابلس الحالية).

ومعنى هذا أن المنطقة التى نحن بصدد الحديث عنها، تقع بين يبوس وشكيم، أى بين القدس ونابلس (حاليًا).

مضى يوسف فى الطريق مع إخوته سعيدًا بصحبتهم، وهو يمنِّى نفسه برحلة ممتعة، وهم يظهرون له المودَّة والحب، ويلبُّون ما يطلبه، ويضاحكونه ويبتسمون فى وجهه، بينما كانت قلوبهم مليئة حقدًا وحسدًا عليه.

حتى إذا ابتعدوا عن ديارهم، واقتربوا من مزرعتهم ومراعيهم.. نزعوا عن يوسف زاده، وسبُّوه، ولطموه على وجهه، وكانوا يستهزئون به، يدعونه: صاحب الأحلام.

تشاور أبناء يعقوب، واتفقوا على الخلاص من يوسف، حتى انتهوا إلى إلقائه فى الجب.

خلع أبناء يعقوب عن يوسف قميصه، لم يرحموا بكاءه وآلامه، وألقوه فى الجُب.. تشبَّثَ يوسف بشفير الجب، يحاول أن يخرج منه، فكان إخوته يضربونه على يديه، حتى سقط داخل الجب.

ترك أبناء يعقوب أخاهم يوسف وحيدًا فى الجب يستغيث بهم دون أن ينقذه أحد، لأن الحقد والكراهية قد تحكمتا فى قلوبهم، نسوا أخوتهم ليوسف، وذبحوا شاة، ولطخوا بدمائها قميص يوسف، وعادوا إلى أبيهم فى المساء، زاعمين أن

---

(١) يبوس: كانت عاصمة اليبوسيين سكان فلسطين الأصليين.

الذئب أكل يوسف، قالوا لأبيهم كلامًا زورًا:

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [يوسف: ١٧].

وبقى يوسف فى الجب، حتى أنقذه الله، وأرسل إليه بعض السيارة (المارين)، فالتقطوه، وباعوه لرجال قافلة كانت فى طريقها إلى مصر، وليكون لنا معه لقاء آخر فى مكان آخر.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

معروف أن يوسف عاش فى الفترة من حوالى سنة ١٧٠٠ق.م إلى سنة ١٦٠٠ق.م[١].

وكانت الظروف التاريخية التى ولد فيها يوسف بعيدة عن أرض فلسطين، فقد شب النزاع بين يعقوب وأخيه عيسو، كل منهما ادَّعى البكورة، فلما اعترف إسحاق ببكورة يعقوب، خشى من انتقام أخيه، وهرب يعقوب إلى أرض فدان أرام بشمال العراق عند خاله لابان، وهناك تزوج ابنتى خاله راحيل وليا، وأنجب فى غربته منهما ومن جاريتين لهما أحد عشر ولدًا.. وحينما رجع يعقوب إلى أرض أبيه فى فلسطين.. كانت زوجه راحيل حاملاً، وفى منطقة أفرات (بيت لحم) [٢]، وضعت راحيل ابنها بنيامين أصغر أبناء يعقوب وشقيق يوسف، وماتت راحيل، فدفنها يعقوب، ومضى إلى أرض أبيه فى يبوس.

ولأن أم يوسف وبنيامين كانت أكثر قربًا إلى قلب يعقوب، ولأنها توفيت، فقد كان بنيامين ويوسف يحظيان بمزيد من حب وإعزاز أبيهم يعقوب، مما دفع أبناء يعقوب إلى الرغبة فى التخلص من يوسف.

---

(١) وفقًا لترتيب أحداث قصة يوسف وربطها بأحداث تاريخ مصر القديم.

(٢) أفرات أو بيت لحم: هى المدينة التى وضعت فيها مريم ابنها المسيح عيسى عليه السلام.

معروف أن يوسف حينما ألقاه إخوته فى الجب، كان عمره حوالى ٨ سنوات، أى أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٦٦٩٢ ق. م.

**** موقـع هذا المكـان :**

واضح من خلال الأحداث التاريخية أن الجبَّ الذى ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف كان فى المنطقة بين شكيم ويبوس.

هذه المنطقة سياسيًا تتبع الآن الدولة الفلسطينية، وهى منطقة سهلية، تقع فى سفوح منطقة هضبية، وإليها تنحدر بعض النهيرات مثل نهر الفارعة.

هذه المنطقة تنتمى مناخيًا إلى مناخ البحر الأبيض المعروف باعتداله وأمطاره فى الشتاء، وحرارته الصيفية.

* * * * *

ثارو (القنطرة)

التى كان فيها سجن يوسف

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ ﴾ [يوسف: ٣٦].

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

دخل يوسف السجن بعد الذى حدث بينه وبين امرأة عزيز مصر والنسوة اللاتى دعتهن إلى حفلها، وقطعن أيديهن.

لعل عزيز مصر وجد فى هذا السجن خلاصًا من المشكلة التى تؤرقه مع زوجته وفتاها.

فى السجن.. كان يوسف يهدى الحائرين فى ظلمات الشرك والكفر.

كان يوسف سجينًا مع سجينين آخرين، كان أحدهما ساقى الملك، وكان الآخر خبازًا فى قصر الملك، اتُّهما فى جريمة وضع سم للملك فى طعامه أو شرابه، وسجنهما الملك، وكانا يعلمان عن يوسف صدق تفسير الرؤيا وحكمته، كما يعرفان عنه وداعته وحبه للخير والصلاح بين الناس.

رأى كل منهما حلمًا.. عرضا على يوسف أن يفسر لهما حلميهما.

قال أحدهما:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال الآخر:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

واضح من خلال هذه الأحداث أن يوسف كان قد بُعث نبيًا، لأنه كان قد تجاوز الثلاثين من عمره.

قبل أن يجيب يوسف على سؤالىْ السجينيْن، وقبل أن يفسر لكل منهما حلمه، رأى أن يدعوهما إلى الإيمان بالله، وأن ينبذا تلك الآلهة التى يعبدها المصريون، ويرمزون لها بأشكال وصور مثل: حورس، ست، آتوم، رع، أوزوريس سخمت [(١)].

سأل يوسف السجينين:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

ثم فسر يوسف للرجلين حلميهما، وقال لهما:

أما الساقى، فستظهر براءته، وسيعود إلى القصر، يسقى الملك، كما اعتاد، أما الخباز، فستثبت عليه الجريمة، وتنتهى حياته.

وصدقت نبوءة يوسف، فقد أُفرج عن الساقى، وأُعدم الخباز.

وحينما خرج الساقى من السجن بريئًا، قال لـه يوسف:

- اذكرنى عند ربك.

كانت هذه هى المرحلة الأولى ليوسف فى السجن.

---

(١) هذه أسماء لعدة آلهة كان المصريون القدماء يعبدونها، أما الإلهة سخمت فكان يعبدها الهكسوس (موسوعة تاريخ مصر).

أما المرحلة الثانية، فكانت بعد أن رأى الملك حلمًا عجيبًا. قال لـه من حولـه:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: ٤٣].

عجز كهنة الملك ومستشاروه وذوو الرأى فى الدولة عن تفسير حلم الملك، اعتبروه أضغاث أحلام.

عند ذلك تذكر ساقى الملك يوسف، وصدق تحقيق رؤياه، وكان الشيطان قد أنساه ما عاهد عليه يوسف بعد خروجه من السجن.

لذلك أسرع الساقى، وأخبر الملك أن الذى يستطيع تفسير هذه الرؤيا هو يوسف الذى سجنه عزيز مصر.

لا داعى لتفصيل مزيد من الأحداث، فقد وضحت براءة يوسف واعترفت امرأة العزيز ونسوة المدينة بالحقيقة، أعطى يوسف للملك تفسيرًا واضحًا، أعلن فيه للملك عن حكمته ورجاحة عقله.

أخبر يوسف الملك أن السبع سنابل تشير إلى أن مصر سيفيض نيلها، ويكثر خيرها خلال سبع سنوات، بعدها تأتى سبع سنوات، تنخفض فيها مياه النيل، ويشح الماء، ويقل إنتاج المحاصيل.

وعلى الملك أن يختزن القمح بسنابله خلال السبع سنوات الأولى، ليطمئن على حياة المصريين، وعدم تعرضهم للجوع خلال السبع سنوات العجاف.

وفى النهاية خرج يوسف من السجن.

تلك هى الأحداث التى وقعت ليوسف فى سجن مدينة ثارو والتى انتهت بأن جعله الملك أمينًا على خزائن مصر، ليتولى خزن القمح فى سنوات الخير السبع، ويوزعه على المصريين فى السنوات السبع المجدبة.

**** زمن هذه الأحداث تاريخيًا :**

استمرارًا لمتابعة الزمن الذى حدثت فيه أحداث النسوة وامرأة العزيز، والتى قلنا إنها كانت حوالى سنة ١٦٦٥ ق. م.

ويقال أن يوسف استمر فى سجنه عشر سنوات، يمكن أن نذكر أن هذه الأحداث، كانت ما بين سنة ١٦٦٥ ق. م حتى ١٦٥٥ق. م.

**** موقع مدينة ثارو:**

تعرف الآن هذه المدينة باسم القنطرة، تقع عند مدخل مصر الشرقى، تخترقها الآن قناة السويس، وكانت تبعد عن العاصمة أفاريس بحوالى ٤٠ كم.

حديثًا اكتشف فيها قاعدة تمثال للصقر، عليه نقوش وصورة للفرعون سيتى الأول، تبعد القنطرة حاليًا عن الإسماعيلية بحوالى٣٠ كم، وعن القاهرة ٩٥ كم.

* * * * *

أرض جَاسَان: مصر

التى دخلها يعقوب ﷺ وبنوه

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف: ٩٩].

**** قصة أحداث المكـان:**

عيَّن ملك مصر يوسف أمينًا على خزائنها، حتى يتحكم فى القمح الذى ستنتجه أرض مصر خلال السبع سنوات الخضر، ليختزنه، ليكون مصدرًا لإطعام المصريين خلال السنوات السبع العجاف.

ونجح يوسف فى مهمته.. استطاع أن يجنب الشعب المصرى مشقات الجوع خلال السبع السنوات التى أجدبت عنها الأرض.

فى تلك الفترة، كان الجدب قد وصل إلى أرض فلسطين (كنعان)، حيث يعيش نبى الله يعقوب وبنوه الذين هم أخوة يوسف.

بعث يعقوب أبناءه العشرة (ما عدا صغيرهم بنيامين) ليشتروا قمحًا من مصر، والتقوا بيوسف، فعرفهم، ولكنهم لم يعرفوه، فقد تغيرت صورته وملابسه ولغته، وكان يوسف كريمًا مع إخوته، أعطاهم ما أرادوا وردَّ إليهم بضاعتهم.. وطلب منهم أن يحضروا معهم فى المرة الثانية أخاهم الصغير، ليزيد لهم فى بضاعتهم كيلاً، وعادوا إلى بلادهم فى فلسطين.

طلب إخوة يوسف من أبيهم يعقوب أن يرسل معهم أخاهم الصغير بنيامين، ولكن يعقوب رفض، خوفًا عليه من أن يناله ما نال يوسف، حتى وافقهم أخيرًا، بعد أن تعهدوا له بالحفاظ على سلامته.

جاء أبناء يعقوب إلى مصر، ومعهم بنيامين شقيق يوسف، وأحبّهم إليه، فأجزل يوسف لهم العطاء.

بحيلة استطاع يوسف أن يتهم إخوته بالسرقة.. بعد أن وضع صواع الملك فى رحل أحدهم.

ولما فتش رجال الملك إخوة يوسف، وجدوا صواع الملك فى رحل بنيامين..

هكذا أصبح بنيامين السارق لصواع الملك، فحُق عليه أن يكون عبدًا للملك، كانت هذه عقوبة السارق.

أخذ رجال الملك بنيامين إلى يوسف، باعتباره السارق.

قابل يوسف أخاه بعطف وحنان، وأخبره بحقيقته، وأنه هو شقيقه الذى ألقى به إخوته فى الجب، وادعوا لأبيهم أن الذئب قد أكله.

سعد بنيامين فى رحاب أخيه يوسف.

تمضى الأحداث بعد ذلك حيث حاول أكبر أبناء يعقوب أن يسترد أخاه بنيامين، مقابل أن يكون أحد الأخوة فداءً لـه، وذلك لاعتزاز أبيه به، لكن يوسف رفض هذه المقايضة، وأصر على أخذ بنيامين.

واكتشف الإخوة بعد ذلك الحقيقة.. إن يوسف الذى ألقوه فى الجب هو الذى أصبح أمينًا على خزائن مصر.

وحين سأل يوسف إخوته عن حال أبيهم، أخبروه أنه ما يزال يعيش على ذكرى ولده يوسف، لا يفتر لسانه عن ذكره، وأن بصره قد فقد من شدة الحزن عليه.

عند ذلك.. دفع يوسف قميصه إلى إخوته، وطلب منهم أن يعودوا إلى فلسطين، ليأتوا بأبيهم وأهله.

وهكذا.. حضر يعقوب وأهله إلى مصر [١] مرحبًا بهم يوسف، وقال لهم:

---

(١) مصر ذكرت فى القرآن الكريم أربع مرات فى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس: ٨٧].

﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

** زمن هذه الأحداث:

بمتابعة الأحداث التى عاشها يوسف فى مصر منذ مجيئه إليها سنة١٦٩٠ ق. م، ومعروف أن بنى إسرائيل (يعقوب وبنوه) دخلوا مصر سنة ١٦٣٥ ق. م.

يمكن القول إن أحداث مجىء أبناء يعقوب إلى مصر منذ المرة الأولى للحصول على قمح، وأن لقاءهم مع يوسف دون أن يعرفوه، تلك الأحداث التى انتهت بحضور يعقوب وأهله إلى مصر فى المرة الثانية، كان ذلك كله خلال فترة سنوات الجدب التى أصابت مصر من سنة ١٦٤٠ ق. م حتى سنة ١٦٣٥ ق. م والتى انتهت بدخول بنى إسرائيل مصر.

** موقـع المكـان:

لا نعنى المكان هنا موقع مصر الجغرافى، فحدود مصر معروف أنها تقع فى الجنوب الشرقى لقارة إفريقيا، وأنها تطل على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وغيرها من المعلومات التى يعرفها كل مصرى.

لكننا نريد هنا أن نحدد موقع المكان من مصر الذى دخله بنو إسرائيل بعد أن لقيهم يوسف ورجاله عند مكان عرف بعد ذلك باسم العريش..

استكمالاً لأحداث قصة يوسف، كما جاءت فى العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].
﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن﴾ [يوسف: ٩٩].
﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِى قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِى مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِى مِن تَحۡتِىٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].
أما كلمة مصر فى قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: ٦١]، فهى لا تعنى مصر المعروفة، ولكنها تعنى ما يشبه الولايات.. هى مصر التى جمعها أمصار.. لأن مصر ممنوعة من الصرف، وهى فى هذه الآية مصروفة. (المؤلف).

٤٧ والذى جاء فيه:

فأتى يوسف وأخبر فرعون مصر، وقال: إنى وإخوتى وغنمهم وبقرهم كلهم جاءوا إلى مصر، فقال فرعون ليوسف، أرض مصر قدامك، فى أفضل أرض اسكن أباك وإخوتك؛ ليسكنوا فى أرض جاسان، وبارك يعقوب فرعون. (الفقرات ١ - ١٢)

وهكذا سكن بنو إسرائيل فى أرض جاسان، وانتقلوا من أرض كنعان إلى قطعة من أرض مصر.

تقع أرض جاسان فى أقصى شرق الدلتا فى منطقة تقع شمالها بحيرة المنزلة، وامتدادها فى الجنوب نحو الصحراء الشرقية بمصر، مكانها الآن يضم منطقة مراكز محافظة الشرقية: بلبيس، وفاقوس.

وهكذا شاء الله ليعقوب وبنيه أن يدخلوا مصر، ليكون لهم دور كبير فى الأحداث التى وقعت بعد ذلك فى عهد نبى الله موسى، كما سيتضح.

* * * * *

تبــوك

أصحـــــاب الأيكـــــة

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحجر: ٧٨].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

**** تمهيـد:**

الأيكة: معناها الغيطة الملتفة أشجارها وأغصانها وفروعها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

كان أهل هذه المنطقة سيئى السلوك والأخلاق، مثل قوم مدين، وكانوا يطِّففون الكيل والميزان، يزيدون فيه إذا اكتالوا لأنفسهم، وينقصونه إذا اكتالوا لغيرهم.

كانوا يكفرون بالله، ويعبدون الأيكة، يسجدون لها، ويلتفون حولها، يدعونها إلهًا لهم.

بعد أن انتهى نبى الله شعيب من مهمته مع قوم مدين.. بعثه الله رسولاً إلى أهل الأيكة، قال لهم:

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٨٣].

لكن أصحاب الأيكة رفضوا طاعة شعيب، واستمروا على كفرهم وضلالهم وفسادهم، وقالوا:

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٦ - ١٨٧].

ورغم بلاغة شعيب ورجاحة عقله وقوة حجته [(١)]، إلا أن أصحاب الأيكة عصوه، فاستحقوا عقاب الله لهم.

أنزل الله على أصحاب الأيكة بابًا من أبواب جهنم.. بردًا قارسًا، وحرًا لافحًا، فأخذ بأنفاسهم، ولجئوا إلى دورهم، فلم تحمهم من الحر والبرد، ثم بعث الله إليهم سحابة، فتنادوا مع بعضهم، ليحتموا فى ظلها، فألهب الله السحابة عليهم نارًا، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا جميعًا فأصبحوا فى دارهم جاثمين.

**** زمن هذه الأحداث :**

قال الرواة : إن نبى الله شعيب كان عصره فى الفترة من سنة ١٦٠٠ق. م إلى سنة ١٤٩٠ق. م، وكانت بعثته سنة ١٥٥٠ق. م.

ومعنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالى من سنة ١٥١٠ق. م إلى سنة ١٤٩٠ق. م تقريبًا.

أى بعد الفترة التى وقعت فيها أحداث أهل مدين.

ونحن نتحدث عن تبوك، لا ننسى ما حدث فيها خلال العصر الإسلامى.

علم الرسول أن الرومان يتجهزون بجيش لمهاجمة المدينة المنورة، وضرب المسلمين فى عقر دارهم.

فى هذا العام.. كان الجو شديد الحرارة، أجْدبت الأرض، وتساقطت الثمار عن أشجارها، وضنَّت السماء بأمطارها. وبخلت الأرض، فلم تنتج كلأ.

---

(١) شعيب: هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين (مديان) بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قنطورة التى تزوجها بعد موت سارة وهاجر، وكان يعرف بأنه خطيب الأنبياء، لبلاغته وفصاحته وقوة حجته، كما عرف بكثرة صلاته وتقواه.

مع ذلك.. جهز الرسول جيشًا، عرف بجيش العسرة، (للعسرة فى هذا العام).

تبارى المسلمون فى التبرع لتكوين هذا الجيش، وابتعد المنافقون.

كان جيشًا قوامه ٣٠.٠٠٠ مقاتل وعشرة آلاف من الخيول ومثلها من الإبل.

تحرك جيش المسلمين من المدينة، يتقدمهم رسول الله ﷺ وكبار الصحابة فى رجب سنة ٩هـ فى طريقهم إلى تبوك.

المسافة بين المدينة المنورة وتبوك حوالى ٦٨٠ كم. قطعها المسلمون فى ظروف شاقة من الحر والعطش، حتى كانوا ينحرون الإبل؛ ليشربوا ما فى بطونها من ماء!! وكان الرجلان أو الثلاثة يتناوبون ركوب بعير واحد.

وصل جيش المسلمين إلى تبوك بعد أكثر من أسبوعين، لكنهم فوجئوا بأن جيش الرومان قد ابتعد.. أحس جنود الرومان أنهم لا طاقة بهم على مواجهة جيش المسلمين، فهربوا.

وبقى الرسول بتبوك بضعة عشر يومًا، عاد بعدها المسلمون إلى المدينة، بعد أن تعاهد الرسول مع كثير من القبائل على السلام.. منها قبائل إيلة فى نهاية خليج العقبة، وتعهدوا بدفع الجزية.

لا شك أن جيش تبوك كان بداية مرحلة هامة فى حياة الرسول.. مهد الطريق بعد ذلك للمسلمين إلى فتح بلاد الشام فى سنوات تالية.

من أجل هذا، فالتاريخ لا ينسى تبوك أيام الرسول.

** **موقــع تبــوك :**

تكاد تبوك تنتصف المسافة من المدينة المنورة ومدخل بلاد الشام.

تقع تبوك فى الشمال الغربى للملكة العربية السعودية، فى منطقة مساحتها أكثر من عشرة آلاف كم[٢].

حينما دخل الرسول تبوك، بنى فيها مسجدًا من الطوب اللبن، وسقفه بجذوع النخيل. صورة مما كان عليه مسجد الرسول فى المدينة المنورة.

بعد ذلك.. أعيد تشييد هذا المسجد بالحجارة.

اكتشف بتبوك قلعة، يرجع تاريخها إلى حوالى سنة ٢٠٠٠ق. م.

على مقربة من تبوك، تقع بلاد مدين التى سنتحدث عنها فى قصة موسى عليه السلام.

* * * * *

اليـــم

الذى ألْقَت فيه أمُّ موسى ابنها

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

**** الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

فى حلم رآه فرعون مصر أن ناراً مشتعلة جاءت من جهة الشرق، أحرقت معظم دور مصر، ما عدا دور العبرانيين.. بنى إسرائيل!!

عرض فرعون حلمه على كهنة دينه، فقالوا لـه، تفسيراً لحلمه:

- هذا يعنى أنه سيخرج من بنى إسرائيل واحد منهم، سيكون سبباً فى هلاك ملكك، وأن عليه أن يقضى على حياة هؤلاء العبرانيين الدخلاء عن مصر، ليأمن شر عداوتهم للمصريين:

لذلك؛ قرر فرعون مصر أن ينتقم من العبرانيين، وكان يعلم عنهم سوء سلوك أجدادهم وخيانتهم، وأنهم كانوا يتآمرون مع الهكسوس أعدائهم.

أمر فرعون رجاله أن يجوبوا شوارع ودور أرض جاسان، حيث يعيش العبرانيون يذبحون الأطفال، ويبقروا بطون الحاملات من النساء، ليخرجوا أجنتهم على نصال سيوفهم.

خلال تلك الفترة، وضعت يوكابد طفلها . لم تسمه باسم، ولكنه عرف بعد ذلك باسم موسى.

كم كانت يوكابد حزينة، يملؤها الخوف والفزع على ابنها، كلما طرق بابها طارق، تُحدِّثها نفسها أنهم رجال فرعون حتى أنها ذات مرة، لتخفى ابنها، ألقت بـه فى آتون لم تهدأ بصيص ناره خوفاً عليه من سكاكين رجال فرعون، ولكن الله كتب لابنها السلامة.

فبينما يوكابد ذات يوم في أحزانها ومخاوفها.. سمعت هاتفاً، يهتف بها:

﴿ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

كان زوجها عمران قد ساقه رجال فرعون، مثل غيره من رجال بنى إسرائيل، ليعبِّدوا الطرق، أو يحفروا الترع، أو يقيموا الجسور..

فى سرية تامة.. اتخذت يوكابد طريقها إلى أحد النجَّارين، وطلبت منه أن يصنع لها صندوقاً محكماً، لا تتسرب المياه بداخله، دون أن تخبره بحقيقة ما أرادت.

عادت يوكابد إلى دارها، فأرضعت طفلها، ووضعته في الصندوق، وحملته على رأسها، وسارت حتى إذا بلغت مكاناً ألقت بالصندوق في اليم، كما أمرها الهاتف، وقالت لابنتها:

- قصيه.. تابعيه، واعرفى أين يرسو.

وعادت يوكابد إلى دارها.

كان صباح يوم ندى، حين خرجت جوارى سيدة فرعون ومعهن ابنتها يلعبن ويمرحن في مياه النيل.

كُن سعيدات، تعلو وجوههن ابتسامة الرضا، والفرحة تملأ صدورهن.

كان قصر فرعون على أحد فروع النيل القديمة في الدلتا، والذى كان معروفاً باسم الفرع البالليوزى، حيث تقع العاصمة برر عمسيس عاصمة الرعامسة الشمالية، وحيث يوجد قصر فرعون، تجرى من تحته مياه النهر.

رسا الصندوق الذى كان به الطفل بجوار إحدى أشجار الصفصاف على شاطئ النيل.

فى لفتة سريعة من الجوارى.. رأين الصندوق بجانب الشجرة التى تدلت فروعها كأنما تستحم في مياه النهر.

أسرعت الجوارى... تتقدمهن الأميرة إلى الملكة ، وأخبرنها بما حدث...

ما كادت الملكة امرأة فرعون تفتح الصندوق، حتى رأت فيه طفلاً جميلاً، يمص إصْبعيه، دليلاً على شدة جوعه، كان وجه الطفل يشرق بهاء ونوراً، يوحى لمن يراه بالرغبة في العطف عليه.

أمرت الملكة جوارى القصر أن يأتين بمرضعة للطفل، فأتين لها بكثير من المرضعات، ولكن الطفل رفض أن يرتضع من إحداهن.

كانت أخت الطفل تراقب الموقف، فقالت للملكة:

- هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، برضاعته ورعايته؟

تحمست الملكة لفكرة الفتاة، وطلبت منها أن تفعل.

عادت الفتاة أخت الطفل إلى أمها يوكابد، وأخبرتها بما حدث لأخيها، وأن عليها أن تصحبها إلى قصر فرعون، لترضع ابنها الطفل.

وسعدت الملكة وابنتها والجوارى حينما ألقمت المرأة ثديها للطفل، فارتضع منها.

وما كان الجميع يدرون أن المرأة كانت أكثر منهن سعادة، وهى ترضع وليدها، دون أن يعرفن جميعهن أنها أمه، فيالسعادة يوكابد بعودة ابنها إلى أحضانها ولهفتها عليه ولأن الطفل وجد بين الماء والشجر، فقد أسمته الملكة (موشى).

** الزمن التاريخى لأحداث مولد موسى وإلقائه في اليم:

إذا علمنا الظروف التاريخية التى ولد فيها موسى عليه السلام، ندرك عدة حقائق منها:

١ - أن مولد موسى عليه السلام كان في عهد أحد فراعنة مصر، يؤكد هذه الحقيقة أن كثيراً من الآيات القرآنية في قصة موسى كانت تذكر كلمة فرعون، وليست الملك، كما في عهد يوسف. من هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾

[يونس: ٨٨].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٦].

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠ - ١١].

٢ - ومن دراسة وقائع التاريخ التى تقول بأن بنى إسرائيل دخلوا مصر حوالى سنة ١٦٣٠ق. م، وخرجوا منها هاربين مع موسى حوالى ١٢٠٥ ق. م، ومن متابعة الأحداث، تقول حقائق التاريخ: إن فرعون مولد موسى هو رمسيس الثانى أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة من ملوك الدولة الحديثة.. إحدى دول تاريخ مصر القديمة.

ومعروف أن رمسيس الثانى حكم مصر من سنة ١٣٠١ق. م حتى سنة ١٢٢٤ق. م أى حوالى ٧٧ سنة، وأن موسى كان مولده سنة ١٢٥٠ ق. م، أى أن مولده كان في عهد رمسيس الثانى فرعون مصر في ذلك الوقت.

وتذكر صفحات التاريخ أن رمسيس الثانى كانت إحدى زوجاته اسمها (إست نفرة)، وهى التى استقبلت الصندوق الذى كان فيه موسى من الجوارى، وهى التى رعته، وتبنَّته وحافظت عليه، واتبعت دين موسى بعد ذلك، آمنت بالله رباً، وبموسى رسولاً من عنده.

ولعل هذا الاسم الفرعونى إست نفرة حُرف بعد ذلك إلى العربية باسم (آسية).

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأة فرعون كما في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم: ١١].

فإن الرسول ﷺ ذكر اسم امرأة فرعون صراحة في عدة أحاديث باسم (آسية)، منها قوله ﷺ:

((خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد))(١).

نخرج من كل هذا بأن الزمن الذى ألقت فيه أم موسى بابنها في اليم، كان زمن فرعون مصر (رمسيس الثانى) حوالى ١٢٥٥ق. م.

** **موقع المكان:**

اليم قد يعنى النهر أو البحر، وهو عبارة عن مساحة واسعة من المياه.

من دراسة الخريطة الجغرافية لمصر فى تلك الفترة، وخاصة منطقة الدلتا، ندرك ما يأتى:

١ - أن عدد فروع النيل في مصر في تلك الفترة، كانت ستة فروع، وليست اثنان كما هو الآن.

٢ - بعض هذه الفروع كانت تقع فى شرق الدلتا، وتصب في بحيرة المنزلة. من أهم هذه الفروع كان الفرع البالوزى، الذى كانت تقع عليه مدينة برر عمسيس(٢) العاصمة الشمالية لدولة الرعامسة.

في قصر يقع على هذا الفرع، كان قصر فرعون، قصر تجرى من تحته مياه النهر، وفي هذا القصر كانت تعيش الملكة إست نفرة التى عرفت باسم (آسية).

في شرق الدلتا وفى منطقة جاسان (جزء من محافظة الشرقية)، كان يسكن العبرانيون الذين كانوا يعرفوا ببنى إسرائيل (أولاد يعقوب)، تلك المنطقة التى أسكنهم فيها يوسف بعد مقدم أبيه وأهله إلى مصر.

---

(١) رواه أنس بن مالك (البداية والنهاية ج١، ص ٤٥٠).
(٢) مكانها الآن قرية قنتير.. إحدى قرى مركز محافظة الشرقية.

أى أن يوكابد حين ألقت بابنها في اليم، كما هتف بها الهاتف، ألقت به في مكان غير بعيد عن المنطقة التى يسكن فيها بنو إسرائيل.

ولأن جوارى قصر فرعون هن اللاتى انتشلنه، فمعنى هذا أن الصندوق ألقى في مكان يقع جنوب قصر فرعون، حتى جرفه التيار معه في طريقه نحو الشمال إلى القصر.

إذن.. أم موسى ألقت بابنها في منطقة تقع جنوب العاصمة برر عمسيس الواقعة على النهر، الفرع الباليوزى..

ومما يُرْوَى أن بعض الرواة ذكروا أن اسم موسى الذى أسمته به آسية كان يعنى موشى أى ابن النيل[١].

* * * * *

(١) مصر في القرآن والسنة ص ١٠٨.

بَرَرْ عَمْسِيس

المدينة التى قَتَل فيها موسى الرجل المصرى

﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ [القصص: ١٥].

** الأحداث التى وقعت في المدينة :

ذات يوم..

كان موسى يسير في شوارع المدينة (المدينة التى نحن بصدد الحديث عنها) فرأى رجلين.. أحدهما عبرانى من شيعته من بنى إسرائيل يتشاجر مع رجل مصرى، قال بعض الرواة: إنه كان أحد رجال القصر الفرعونى، وأنه كان يعمل خبازاً في القصر.

كان الشجار بين الرجلين.. قائماً، لأن المصرى كان معه حمل ثقيل، يطلب من العبرانى أن يحمله عنه، ليوصله إلى القصر الفرعونى.. صورة من صور السخرة التى كثيراً ما كانت تقع للعبرانيين في تلك الفترة من التاريخ.

رأى موسى هذه المشاجرة بين الرجلين، ولأن موسى عبرانى من بنى إسرائيل، فقد كان عليه أن يقف بجوار بنى جلدته.. فناصره على المصرى. صحيح أن موسى كان ربيباً لفرعون مصر، وهو الذى ربَّته امرأة فرعون آسية (إست نفرة) وابنتها. رعيتاه طفلاً، فشاباً، ولكن موسى كان يجد فى نفسه حباً وهوى لقومه من بنى إسرائيل، بعد أن أدرك أنه واحد منهم.

لاشك أن موسى حاول الإصلاح بين المتنازعيْن، لكنه وجد أن كلا منهما مصرٌ على موقفه: المصرى يصر على أن يحمل العبرانى عنه الحِمْل الذى يحمله، والعبرانى مصُّر على ألا يفعل ما يريده المصرى.

وأحس موسى أن العبرانى على حق، وأن المصرى على خطأ، فضرب المصرىَّ

بقبضة يده ضربة ألقته قتيلاً، وابتعد عنه، بينما هرب العبرانى.

فلما كان اليوم التالى، أو لعله كان بعد عدة أيام، رأى موسى نفس العبرانى يتشاجر مع مصرى، لعل هذه العبرانى استهوته الفكرة، وأسعده موقف موسى منه ومن قومه بالأمس.

استغاث العبرانى بموسى، ولكن موسى هذه المرة كان يحس بخطئه فيما فعله بالأمس، وقال إنك لغوى مبين وذهب ليبطش بالذى هو عدو لهما فظن العبرانى أن موسى غضب منه.فاستشاط العبرانى غضباً، وبدت سوء نواياه، فقال لموسى:

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [القصص: ١٩].

هكذا قلب العبرانى لموسى وجه سوء النية، أعلن للملأ حولـه، أن موسى هو الذى قتل المصرى بالأمس.

علم فرعون بحقيقة ما فعله موسى، ولا شك أن فرعون لم يكن يحب موسى، لذلك أمر فرعون بالقبض على موسى، ومحاكمته ومعاقبته.

لا ندرى هذا الفرعون هل كان رمسيس أم غيره، فستتضح الحقيقة بعد ذلك.

هذه هى الأحداث التى وقعت في المدينة التى نحن بصدد الحديث عنها.

**** الزمن التاريخى لهذه الفترة.**

لم يذكر القرآن الكريم ، ولا العهد القديم من هو الفرعون الذى كان يحكم مصر أثناء هذه الفترة، ولكن علينا أن ندرك الحقائق التالية:

١ - انتهى حكم رمسيس الثانى سنة ١٢٢٤ق. م، وتولى بعده ابنه مرنبتاح التى كانت أمه إست نفرة (آسية) وزوجته هى الأميرة إيست نفرة ابنة آسيا، فقد تزوج مرنبتاح أخته، وكان هذا أمراً عادياً.

ومعنى هذا أنه إذا اعتبرنا أن رمسيس الثانى أباً أو جداً لموسى، فيمكن أن نعتبر مرنبتاح خالاً أو أباً لموسى. بحكم ربوبية موسى في قصر فرعون.

وإذا نظرنا إلى منطوق الآية (١٥) من سورة القصص، والتى جاء فيها:

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص: ١٥].

فإن هذا كان يعنى أنه حينما وقعت هذه الحادثة، كانت المدينة شبه خالية من سكانها؛ لانشغال الناس بأمر آخر خارج مدينتهم.

ولعل هذا الموقف دفع بعض الدارسين إلى أن يربطوا بين هذه الحادثة، وبين وفاة رمسيس الثانى في ذلك اليوم من عام ١٢٢٤ق. م، وأن انصراف الناس عن مدينتهم في هذا اليوم، كان لتوديعهم جثمان الفرعون رمسيس الثانى إلى مستقره الأخير في عاصمته الدينية طيبة والتى وجدوا فيها جثمانه.

ويمكن أن نسلم بهذه الحقيقة، إذا أدركنا أنه سبق أن ذكرنا أن حكم رمسيس الثانى كان فى الفترة من ١٣٠١ق. م حتى ١٢٢٤ق. م، وأن مولد موسى كان سنة ١٢٥٠ق. م.

أى أن موسى في هذا اليوم كان عمره ٢٦ سنة.. شاباً قوياً.

مع التجاوز في التاريخ عن خمس أو عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يقول علماء التاريخ.

**** موقع مكان المدينة الذى وقعت فيه الأحداث :**

من الواجب علينا أن نستبعد أن تكون المدينة هى طيبة، فهى بعيدة جداً عن منطقة سكن العبرانيين في أرض جاسان شرق الدلتا، وطيبة قصرت أهميتها على الناحية الدينية، في ذلك الوقت، ولم تعد لها صفة العاصمة السياسية التى انتقلت إلى الشمال.

وقال البعض إنها مدينة منف، ولكن الحقيقة أن منف لم تكن لها أهمية فى تلك الفترة، كما أنها هى الأخرى بعيدة عن موطن العبرانيين فى جاسان.

أقرب مدينة إلى هذه الأحداث هى مدينة برر عمسيس التى كانت العاصمة السياسية الشمالية لدولة الرعامسة، وهى إحدى المدن التى سَخَّر فيها الفراعنة كثيراً من العبرانيين في بنائها، فعلى مقربة منها انتشل جوارى قصر فرعون موسى، فيها تربى موسى في قصر فرعون فى رعاية الملكة إست نفرة (آسية) وعلى مقربة منها، كان سكن العبرانيين في أرض جاسان حيث أنزلهم فيها يوسف.

هذه المدينة مكانها الآن قرية قنتير مركز فاقوس بمحافظة الشرقية.

* * * * *

ماء مدين

حيث التقى موسى مع ابنتي شيخ كبير

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص: ٢٣].

﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه: ٤٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

بعد أن قتل موسى المصرىَّ.. أدرك أن جند فرعون ورجاله يترصَّدون له، ليقبضوا عليه، فنصحه رجل مخلص أن يهرب، ودلَّه على الطريق الذى يسلكه.. بعيداً عن تجمعات بعض القبائل التى تعمل بالزراعة أو الرعى، أو تجمُّعات عمال المناجم.

لم يكن موسى قد استعد بالزاد، أو هيَّأ نفسه معنوياً لهذه الرحلة التى كانت أشبه بمغامرة غير محسوب نتائجها، إلا أنه كان معتمداً على الله.

مضى موسى في طريقه خلال جنوب شبه جزيرة سيناء وشرقها، يجتاز الروابى، ويهبط الأودية، ويتسلق بعض مرتفعاتها التى كانت تعترض طريقه.. يقتات أوراق الشجر، يمتص عيدان الحشائش، يشرب من قيعان الوديان ماء كدراً.. حتى بلغ إلى مكان ما شرق خليج العقبة.

هدأ موسى يستظل بظل شجرة باسقة بعد طول صراع مع الخوف، ومشقة الطريق، ولسعات الجوع والظمأ.. جلس موسى فى ظل الشجرة، يستروح عندها نسمات تريح خاطره.

عن قرب.. رأى موسى جمعاً كبيراً من الرعاة، يصطحبون أغنامهم، يتزاحمون على حوض صخرى من الماء، كل واحد يريد أن يقترب من الحوض؛ ليسقى أغنامه.

على غير بعيد.. رأى موسى فتاتين فى مقتبل شبابهما، تذودان بأغنامهما عن زحمة الرعاة.

اقترب موسى من الفتاتين، وسألهما:

- ما خطبكما؟

فى استحياء.. قالت الفتاتان:

﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: ٢٣].

فى استعطاف.. أنطق الله لسانهما، فقالتا:

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

رغم ما كان يحس به موسى من تعب وجوع، إلا أنه شعر بدافع قوى يدفعه إلى مساعدة الفتاتين، إنها مشيئة الله وقدره الذى قدَّره.

زاحم موسى الرعاة بأغنام الفتاتين وسقاها لهما فى مودة، حتى إذا انتهى مما فعل، عاد إلى مجلسه تحت الشجرة، وهو ينادى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

عادت الفتاتان إلى أبيهما الشيخ مبكرتين، على غير العهد بذلك، ولما سألهما أبوهما أخبرتاه بما كان من أمر ذلك الفتى الشجاع الذى ساعدهما، وسقى لهما أغنامهما.

لأن الله كان له فى ذلك مشيئة، طلب الشيخ من إحدى ابنتيه وهى الصغرى أن تعود، لتأتى بالفتى، وسيكون معه لقاء.

عادت الفتاة إلى موسى، وأخبرته بما قاله أبوها، فصحبها إلى دارها، حيث التقى بأبيها الشيخ.

كان الشيخ مؤمناً.. طيباً.. حكيماً.

حكى موسى للشيخ قصته.. مولده، تربيته في قصر فرعون، وحكى له عن قومه بني إسرائيل، وقصتهم في مصر مع يوسف.

عرض الشيخ على موسى أن يستأجره ثمان أو عشر سنوات على أن يتزوج إحدى ابنتيه.

وتراضى الشيخ وموسى على ما تعاهدا عليه، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وهكذا شاء الله لموسى أن يعيش فى أرض مدين.

**** زمن هذه الأحداث:**

حاول كثير من الرواة أن يتعرفوا على زمن هذه الأحداث، فربطوا بين موسى ونبى الله شعيب(١).

لكن الدراسات التاريخية التى ترتبط بهذه الأحداث تؤكد أنه لا توجد علاقة زمنية بين موسى وشعيب.

فنبى الله شعيب كان يعيش في الفترة ما بين ١٦٠٠ق. م حتى ١٥٠٠ ق. م.

فإذا تتبعنا أحداث قصة موسى عليه السلام، نجد أنه كان فى فترة متأخرة عن هذا التاريخ، فبين موسى وشعيب ٣٠٠ سنة.

والدراسة التاريخية تؤكد أن هذه الفترة كان يحكم فيها مصر الفرعون مرنبتاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى، وكان ذلك بين ١٢٢٤ق. م حتى ١٢١٤ق. م هى الفترة التى هرب فيها موسى من مصر.. وذلك استناداً لبقية

---

(١) شعيب: سبقت ترجمة له فى قصة الأيكة، إحدى قصص هذا الكتاب.

الأحداث التالية.

معنى ذلك أن الشيخ الذى تزوج موسى ابنته ليس هو نبى الله شعيب، وإنما هو الشيخ يثرون، الذى كان كاهناً.. ويقال إنه كان ابن أخ لشعيب، أو لعله كان واحداً من أحفاده.

نخرج من كل هذا بأن زمن هذه الأحداث كان يتزامن مع حكم مرنبتاح في مصر.

**** موقع المكان:**

من خلال هذه الأحداث ندرك أن المكان الذى استقر فيه موسى عند صهره يثرون، كان بأرض مدين.

أرض مدين هذه تقع شرق خليج العقبة، وامتدادها شرق البحر الأحمر، وهذه المنطقة الآن جزء من المملكة العربية السعودية، تقع في شمالها الغربى.

أرض هذه المنطقة صخورها حجرية، بها بعض الجبال مثل جبل الخنشان وجبل برارة وجبل اللوز، بالإضافة إلى بعض المنخفضات الصخرية التى كانت تستخدم كمخازن للمياه في فصل الأمطار الشتوية.

تمتد بلاد مدين من رأس خليج العقبة عند دائرة عرض ٢٩° شمالاً إلى دائرة عرض°٢٦ شمالاً تقريباً.

ويقول الرواة إن عاصمتها كانت تسمى البدع، كانت تقع شرق العقبة، فهى بذلك تشمل مساحة كبيرة من شمال غرب المملكة العربية السعودية.

ومعروف أن هذه المنطقة جغرافياً تتبع شبه مناخ البحر الأبيض المتوسط، الصيف الذى يمتاز بجفافه وحرارته، واعتداله، وأمطاره شتاءً.

والأمطـار التـى تسـقط علـى هـذه المنطقـة فـي فصـل الشـتاء نتيجـة لهبـوب الريـاح العكسية الغربية التى تتشبع ببخار المـاء من البحـر الأحمر وخليج العقبـة، وحينما تهب على هذه المنطقة تسقط أمطارها.

طبيعــة هــذه المنطقــة صــخرية، تكثــر فيهــا المنخفضــات الصــخرية، وبعــض الجبال القليلة الارتفاع.

من أجل هذا كان السكان يختزنون مياه الأمطار في هذه الأحواض الصخرية، كـى يستخدموا ما اختزنوه في فصل الجفاف، فصل الصيف.

ولعـل موســى حــين ســقى أغنــام ابنتــى الشــيخ يثــرون، ســقاها مــن أحــد هــذه الأحـواض، حتـى قـال بعـض المـؤرخين: إن الحـوض كـان عليـه غطـاء هـو صـخرة كبيـرة ثقيلـة، اسـتطاع موسـى بشـجاعته وقوتـه أن يـزيح هـذه الصـخرة عـن فوهـة الحـوض، ليسـقى الأغنـام، وممـا يؤكـد هـذا مـا ذكرتـه الفتـاة لأبيهـا عـن موسـى فـى قولـه تعالى:

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

* * * * *

الوادى المقدس طوى

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: ١١ - ١٢].

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص: ٤٦].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعد أن انتهى موسى [١] من مدة العهد الذى تعاهد عليه مع الشيخ يثرون، كان فى لهفة للعودة إلى مصر.

أعطاه صهره بعض الأغنام، واصطحب موسى معه زوجته صافورة، وولديه جرشون وعازر اللذين أنجبهما فى غربته فى أرض مدين.

مضى الجميع في الطريق من مدين عائدين إلى مصر.

تاه موسى وأهله في الطريق، وكان البرد قارساً شديداً، والليلة مظلمة حالكة السواد.

كان على موسى أن يجد ناراً، يستدفئ بها هو وأهله، فصلد حجرين، فلم يوريا ناراً!!.

من بعيد.. رأى موسى ناراً مشتعلة، فقال لأهله:

﴿ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠].

ترك موسى أهله، وذهب متجهاً إلى النار.

---

(١) هو موسى بن عمران (عمرام) بن قاهث بن عازر من بنى لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام)، هو أحد أولى العزم من الرسل.

كان موسى قد وصل إلى المكان المقدس طوى، ولدهشته رأى شجرة خضراء، قد اشتعلت فيها النار، لا الشجرة تحترق، ولا النار تنطفئ!!

ما كاد موسى يقترب من الشجرة، حتى سمع صوتاً يناديه:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١١ - ١٤].

وما يملك موسى إلا أن يخلع نعليه، تقديساً للمكان الذى نزل به، وتنفيذاً لأمر ربه، وقد غلبته الدهشة والخوف.

بعد حين.. سمع موسى الهاتف يناديه:

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ [طه: ١٧].

قال موسى:

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه: ١٨].

عاد الصوت يناديه:

﴿أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠﴾ [طه: ١٩ - ٢٠].

فما كاد موسى يلقى عصاه، حتى تحولت إلى حيَّة تسعى.

امتزجت دهشة موسى بالفزع، لكنه سرعان ما اطمأن إلى الصوت، وهو يناديه:

﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ [طه: ٢١].

وسعد موسى حين قبض على الحية، فإذا هى قد عادت عصا.. اختفت الحيَّة!!

مرة ثانية.. عاد الصوت يناديه:

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ [طه: ٢٢].

أدخل موسى يده في جيبه، ثم أخرجها فإذا هى بيضاء تضيء المكان حوله.

وعاد الصوت ينادى:

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

هنالك.. عادت إلى ذهن موسى صورة ما وقع منه في مصر، حين قتل أحد المصريين، وأن لسانه أعجز من أن يناقش فرعون، فنادى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٤].

قال الله لموسى:

﴿فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥ - ١٦].

هذا ما حدث فى الوادى المقدس طوى، وللأحداث بقية في أماكن أخرى.

**** زمن هذه الأحداث:**

بمتابعة لأزمنة الأحداث السابقة واللاحقة، نستطيع أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت حوالى ما بين سنة ١٢١٥ ق. م إلى سنة ١٢١٣ق. م وهى الفترة التى كانت في أواخر عهد الفرعون مرنبتاح (الذى تولى الحكم من سنة ١٢٢٤ ق. م - ١٢١٤ق. م) وبداية عهد الفرعون سيتى الثانى (١٢١٤ق. م حتى غرقه حوالى سنة ١٢٠٤ ق. م.

**** موقع المكان:**

الوادى المقدس طوى: هى المنطقة التى تقع بين جبل موسى ومدينة الطور، وسنتحدث عن جبل موسى بعد ذلك.

معروف أن مدينة الطور تقع جنوب غرب جبل موسى (جبل حوريب) وهى الآن عاصمة محافظة سيناء الجنوبية.

تقع مدينة الطور على الساحل الشرقى لخليج السويس، أحد ذراعى البحر الأحمر، في منطقة تقترب من إنتاج البترول في بلاعيم وفيران.

كانت مدينة الطور فيما مضى الميناء الذى يبدأ منه الحجاج المصريون رحلتهم بالبواخر إلى المملكة العربية السعودية .

على غير بعيد من الطور، توجد مدينة شرم الشيخ إحدى المدن السياحية العالمية في مصر، والتى تقع عند التقاء خليج العقبة بخليج السويس ذراعى البحر الأحمر.

معروف جغرافياً أن هذه المنطقة أمطارها شتوية، ولكنها أقل من جبل موسى؛ لأنها تقع في منطقة أقل ارتفاعاً.

* * * * *

بحر سُوف

البحر الذى عبره بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ [طه: ٧٧].

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان : مقدماتها وآثارها :**

رفض فرعون مصر دعوة موسى إلى الإيمان بالله، والسماح لبنى إسرائيل بالخروج من مصر.

اشتعل العداء بين موسى من جهة، وفرعون ورجاله من جهة أخرى، حين كسب موسى جولة السحر، وانتصر على سحرة فرعون الذين آمنوا بإله موسى، ورفضوا تهديد فرعون لهم.

أنزل الله العقاب على فرعون ورجاله:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

أرسل عليهم:

﴿ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

كثيراً ما لجأ فرعون ورجاله إلى موسى أن يدعو الله، ليكشف عنهم ما أصابهم من

السوء، على وعد بالإيمان بالله.. فما كاد الله يصرف عنهم ما أصابهم، حتى يتنكروا لعهودهم.

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٤ ، ١٣٥].

لم يجد بنو إسرائيل أمامهم إلا أن يهربوا.

فلما كان الليل، خرج بنو إسرائيل ومعهم موسى من ديارهم من أرض جاسان، واتجهوا نحو الشرق.. حتى بلغوا منطقة سكوت، ومنها اتجهوا إلى إيتام. من إيتام اتجهوا نحو بحر سوف(١).

وصل بنو إسرائيل إلى منطقة تسمى فم الحبروت (غرب بحر سوف) على أمل أن يجتازوا المنطقة اليابسة بينه وبين باقى بحيرة المنزلة (حالياً).

ما كاد بنو إسرائيل يصلون إلى هذه المنطقة، حتى لحق بهم فرعون ورجاله.

كان فرعون قد علم بهروب بنى إسرائيل، فكوَّن رجاله عدداً كبيراً من المركبات تجرها الخيول، واتجه مع جنوده إلى المنطقة التى هرب إليها بنو إسرائيل.

أصبح بنو إسرائيل في مأزق.. البحر أمامهم، وفرعون ورجاله من خلفهم..

صرخ بنو إسرائيل، حتى أنهم ندموا على هروبهم من مصر!!

أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه، وسرعان ما انفلق البحر، وانحسرت عنه المياه، وصارت أرضاً يابسة.. جافة.. اتسعت فيها عدة طرق.. كل أفراد سبط من أسباط أبناء يعقوب ساروا في طريق، حتى عبروا منطقة البحر، ووصلوا إلى منطقة المجدل في الناحية الشرقية لبحر سوف.

---

(١) بحر سوف: يعرف باسم بحر البوص، حيث يكثر فيه نبات الغاب، وهو جزء من امتداد بحيرة المنزلة الحالية، التى كثيراً ما يرتفع فيها منسوب المياه أيام الفيضان.

كان على فرعون أن يلحق ببنى إسرائيل، ليعيدهم إلى مصر، فرأى منطقة البحر أمامه قد تحولت إلى يابس، فتبع بنى إسرائيل.. لكن المياه أطبقت على فرعون ورجاله، فغرقوا جميعاً، وشاء الله أن يكون ما حدث لفرعون عظة، فألقى بجثته على الشاطئ، وانصرف المصريون إلى ما حدث لفرعون، وانشغلوا بإجراءات دفنه في طيبة، بينما كان بنو إسرائيل يسرعون في طريقهم جنوباً إلى أرض شور.

وكان هذا الطريق بداية لهم إلى سيناء.

**** التاريخ الزمنى لهذه الأحداث:**

ترتبط هذه الأحداث بأحداث أخرى حدثت قبلها، وأحداث وقعت بعدها، لكن حقائق التاريخ تثبت أن هذا الحدث وقع في أواخر عهد الفرعون سيتى الثانى الذى تولى الحكم بعد مرنبتاح من سنة ١٢١٤ق. م حتى ١٢٠٥ق. م أو سنة ١٢٠٤ق. م التى غرق فيها.

ربما يرى البعض أن يربط بين هذه الأحداث وبين رمسيس الثانى أو ابنه مرنبتاح، لكن الدلائل تؤكد أن فرعون مصر الذى رفض دعوة موسى لعبادة الله.. كان في سن متقارب من سن موسى، بينما كان رمسيس الثانى يعد بمثابة أبيه أو جده، وكان مرنبتاح بمثابة خاله (لأن إست نفرة زوجة مرنبتاح هى ووصيفاتها هن اللاتى انتشلن موسى من البحر).

يدل على ذلك.. الحوار الذى دار بين موسى وفرعون حين التقيا.

قال فرعون لموسى فى معرض النقاس الذى دار بينه وبين موسى:

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠١].

فرد عليه موسى رداً قوياً، شديد اللهجة:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١) [الإسراء: ١٠٢].

ومن الواضح ألا يكون هذا الحوار بين موسى وأب لـه، أو خال، وإنما كان بينه وبين شخص يقاربه في سنه هوسيتى الثانى حفيد رمسيس الثانى .

** **موقع المكان:**

ونعنى بهذا المكان الطريق الذى سار فيه بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر.

اختلف كثير من الرواة والمؤرخين في تحديد هذا المكان.

قال بعضهم: إنه يبدأ من خليج السويس.. متجهاً إلى سيناء.

وقال آخرون: إنه يبدأ من شمال البحيرات المُرَّة.

لم يذكر القرآن الكريم أى تحديد لطريق هروب بنى إسرائيل من مصر.

ومعروف أن هروب بنى إسرائيل كان ليلاً، ولحق بهم فرعون مصر ورجاله صباحاً، أى أنهم لم يسيروا مسافة كبيرة.

هذا الطريق يبدأ من أرض جاسان في شرق الدلتا إلى المنطقة التى تعرف باسم إيتام، ثم إلى المنطقة كانت تعرف باسم فم الحبروت ثم إلى بحرسوف (الذى كان جزءا من جنوب بحيرة المنزلة القديمة ثم إلى أرض شور، ثم إلى سينا .

* * * * *

---

(١) مثبوراً: هالكاً.

جبل موسى

(جبل حوريب) حيث كلَّمَ الله موسى عليه السلام

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

عاش موسى وبنو إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر، ينعمون بما أسبغه الله عليهم من نعم وخيرات.. فجَّر لهم موسى بمشيئة الله اثنتى عشرة عيناً، يستقون منها، وأنزل الله عليهم المنَّ والسَّلوى، طعاماً لهم وحلوى، وأنبت الله لهم من الأرض ما يعيشون عليه من حبوب وخضر وفاكهة.

طلب موسى من ربه أن ينظر إليه.. أن يراه!!

أمر الله موسى أن يذهب إلى الجبل الذى نحن بصدد الحديث عنه، وقبل أن يراه عليه أن يصوم ثلاثين ليلة، ثم يصعد الجبل.

ترك موسى قومه مع أخيه هارون، ووعدهم أن يأتى إليهم بعد ثلاثين يوماً..

اتجه موسى إلى الجبل، وصام ثلاثين ليلة، حتى إذا انتهت الثلاثون ليلة، استعد للقاء ربه، ولكنه شعر أن رائحة فمه كريهة من طول مدة الصوم[١]، فالتقط قطعة من ثمرة، ولاكها في فمه، واستعد للقاء ربه.

لكن الله أمره أن يصوم عشرة أيام أخرى، فتم ميقات ربه أربعين ليلة[٢].

(١) كان صوم موسى فى شهر ذى القعدة، والعشر الأولى من ذى الحجة.

(٢) فى تلك الفترة.. انتهز السامرى طول غياب موسى، فصنع لبنى اسرائيل عجلاً له خوار، وأمرهم أن يعبدوه، وأن يسجدوا له كإله، بدلاً من إله موسى (راجع قصة السامرى في القرآن الكريم الآيات ١٤٨ ، ١٤٩ من سورة الأعراف).

وهكذا استعد موسى للقاء ربه.

نادى موسى ربه:

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال الله جل جلاله لموسى:

﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولدهشة موسى، رأى الجبل قد دُكَّ دَكاً [١].. عند ذلك.. خَرَّ موسى صعقاً مغشياً عليه.. ساجداً لله، فلما أفاق، قال:

﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال الله لموسى:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وأنزل الله على موسى ألواحاً مكتوب عليها تعاليم ووصايا وأوامر الله لبنى إسرائيل.

أخذ موسى الألواح، ونزل الجبل، وعاد إلى قومه، فوجد كثيراً منهم يرقصون ويسجدون للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى كان نساؤهم قد اقترضنه من النساء المصريات قبل رحيلهن.

كانت هذه الألواح بها الوصايا العشر التى منها: لا تسرق.. لا تزن.. لا تشرك بالله.. [٢].

(١) من ينظر إلى هذا الجبل الآن يدرك الفرق بين الجزء الذى دُكَّ منه، وبقيته. انظر الصورة.

(٢) أجمل القرآن الكريم هذه الوصايا في قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ

وأحرق موسى عجل السامرى، وذرى ترابه في الهواء، وهرب السامرى يندب حظه في البرية.

**** زمن هذ الأحداث :**

من دراسة التاريخ نعلم أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان سنة ١٢٠٥ ق. م.

معنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١١٩٥ق. م حتى سنة ١١٨٠ ق. م أى بعد حوالى عشرين عاماً من خروج بنى إسرائيل، وقبل أن يكتب الله على بنى إسرائيل التيه لرفضهم دخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم.

**** موقع المكان :**

عرف هذا الجبل بجبل موسى، أو جبل حوريب، أو جبل المناجاة.

يقع هذا الجبل في جنوب شبه جزيرة سيناء المصرية، حيث يحيط به من الشرق خليج العقبة ومن الغرب خليج السويس ومن الجنوب البحر الأحمر، وبين الجبل والمياه سهل ساحلى يضيق فى بعض المناطق، ويتسع في الأخرى.

وهذا الجبل يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى ٢٦٤٠ متراً.

به عدة قمم.

إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].



صورة جبل موسى (حوريب) حيث نزلت على موسى الألواح التى بها وصايا الله

يتبع هذا الجبل إدارياً محافظة جنوب سيناء المصرية.

فى أعلى الجبل يوجد دير سانت كاترين التى يرجع تاريخه إلى حوالى عام ٣٤٢م، والكنيسة الكبيرة، تحيط بالدير والكنيسة حدائق وبساتين تنتج كثيراً من أنواع الفاكهة كالتين والعنب والمشمش، والخضر والمحاصيل التى تقوم عليها حياة رهبان الدير والكنيسة.

هذا الدير كان يعرف باسم دير السيدة العذراء، ثم أطلق عليه الاسم الحالى فى القرن التاسع عشر الميلادى.

للوصول إلى هذا الدير على الإنسان أن يصعد ٣٠٠٠ درجة نحتها الرهبان في الجبل على مر السنين، وعندمنا يصل يجد منطقة غنية بالماء والمزروعات.

هذا الدير بناه الإمبراطور جوستنيان (٥٢٧م - ٥٩٥م)، ليكون مقراً للرهبان وللانقطاع للعبادة وهو عبارة عن قلعة حصينة، يحيط بها سور أضلاعه شبه مربع

١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٣٦ متراً، وارتفاعه من ١٢ - ١٥ متراً وسمك جداره ٢٢٥ سم، والسور مبنى من الجرانيت، لـه ثلاث بوابات.

بالدير مكتبة غنية بالكتب، فيها أقدم الأناجيل.

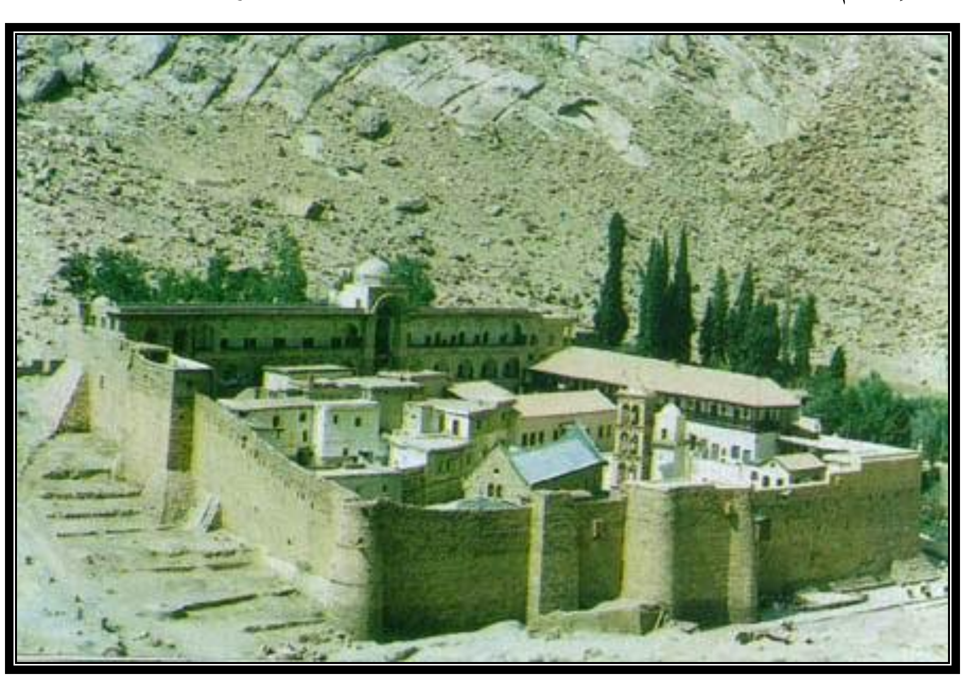
كما يوجد مسجد كبير بناه علىٌّ الأفضل وزير الحاكم بأمر الله الفاطمى (١١٠١ - ١١١٠) وكنيسته معروفة بكنيسة الخلاص، وكنيسة أخرى صغيرة.

والدير محاط بعدد من الجبال يصل ارتفاع بعضها إلى ١٥٠٠ متراً.

يبعد الدير عن القاهرة بحوالى ٤٤٠ كيلو متراً.

وهذا يعنى أن هذا الجبل يمثل منطقة مقدسة عند أصحاب الديانات الثلاثة:

الإسلام والمسيحية واليهودية، فهو بذلك يتبوأ مكانة دينية وتاريخية هامة.



صورة لدير سانت كاترين على جبل موسى

*****

مَجْمَعَ البَحْرَيْن

حيث التقى موسى عليه السلام والعبد الصالح

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

** **تمهيـــد:**

اختلف الرواة والمفسرون فى تحديد المنطقة التى التقى فيها موسى مع العبد الصالح.

قال بعضهم:

- كان ذلك عند التقاء خليج العقبة مع خليج السويس فى جنوب سيناء، على أنهما بحران يلتقيان فى هذا المكان.

رأى آخر قال أصحابه:

- كان ذلك عند منطقة السويس، حيث كانت تلتقى ترعة سيزوستريس التى حفرها الفرعون سنوسرت، لتصل بين النيل والبحر والأحمر عند السويس، وكان الغرض منها ربط النيل بالبحر الأحمر، لتسهيل التجارة بين البحرين الأحمر والمتوسط.

فإذا ناقشنا الرأيين، نجد أن الرأى الأول بعيد الاحتمال، لأنه يقع فى منطقة بعيدة عن المنطقة التى كان يعيش فيها بنو إسرائيل فى سيناء، فليس من المعقول أن يترك بنو إسرائيل منطقة الغرب والشمال، ويعيشوا فى الجنوب، وكلها كما نعرف منطقة جبلية، صعبة السير فيها.

أما بالنسبة للرأى الثانى: فلا أوافق عليه، لأننا لا ندرى إن كانت هذه القناة مازالت تعمل فى عصر موسى، وهو عصر الأسرة التاسعة عشر، أم ردمت علمًا بأن هذه القناة حفرت فى عهد الأسرة الثانية عشر.

ثم إن السويس مكان قريب من مصر، والمفروض أن بنى إسرائيل ابتعدوا عنها.

والرأى عندى أنه كان فى منطقة غير هذه وتلك، فأين تكون هى؟

إذا نظرنا إلى خريطة مصر أيام موسى، نجد أن النيل كان لـه ستة أو ثمانية فروع، موزعة فى شرق الدلتا ووسطها وجنوبها.

من هذه الفروع التى فى شرق الدلتا كان فرع النيل الباليوزى الذى يصب فى البحر المتوسط قرب بحيرة البردويل الحالية، وقد ذكرنا أن هذا الفرع تقع عليه العاصمة بررعمسيس، وفى مكان منه، ألقى فيه موسى وهو طفل رضيع.

مع ملاحظة أن كلمة البحرين بمدلولهما، لا يشترط أن تكون مياه الاثنين ملحًا، من الجائز أن يكون أحدهما ماؤه ملح والآخر ماؤه عذب، أى أن نهر وبحر.

يؤكد هذه الحقيقة.. ما جاء فى قولـه تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٠].

فقد عبر القرآن الكريم أن أحدهما مالح، والآخر عذب، اختلفت كثافة كل منهما عن الآخر، فهما لا يختلطان.

وهذه الحقيقة تنطبق على المكان الذى نحن بصدد الحديث عنه، حيث يلتقى الفرع الباليوزى لنهر النيل القديم مع البحر المتوسط عند مكان كان يعرف باسم باليوزم اسمه الآن الفرما.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

من دراستنا لعصر موسى والعبد الصالح التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢، وفى حديث رسول الله ﷺ عن اللقاء بين موسى والخضر، هذا الحديث رواه مسلم عن سعيد بن جبير (مختصر صحيح مسلم).

وتتلخص هذه الأحداث فيما يلى:

قام موسى عليه السلام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فسألوه:

- أى الناس أعلم؟

فقال موسى:

- أنا أعلم الناس.

فعتب الله على موسى، وأوحى إليه أن عبدًا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك، فسأل موسى ربه:

- يا رب كيف لى به؟

فطلب الله من موسى أن يحمل حوتًا فى مكتله، وسيجده حين يفتقد الحوت.

أخذ موسى حوتًا فى مكتله، وصحب فتاه يوشع بن نون [(١)]، وسارا، حتى وصلا إلى صخرة، وكان التعب قد أنهكهما، فناما عندها.

فى أثناء نوم موسى، اضطرب الحوت فى المكتل وخرج منه، وسقط فى البحر، وأمسك الله الحوت عن أن تجرفه المياه، فبقى فى مكانه.

فلما استيقظ موسى وفتاه، انطلقا فى طريقهما بقية يومهما وليلتهما، ونسى فتى موسى أن يخبره بما حدث للحوت.

بعد حين.. طلب موسى من فتاه:

﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الكهف: ٦٢].

قال فتى موسى له:

﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الكهف: ٦٣].

عند ذلك طلب موسى من فتاه أن يعودا إلى الصخرة، فرجعا، حتى أتياها.

---

(١) هو يوشع بن نون، وستأتى ترجمة له فى قصة دخول بنى إسرائيل أول قرية من فلسطين.

عند هذه الصخرة، وجدا رجلاً [١] واقفًا على بساط من العشب الأخضر، فسلم موسى عليه، فقال لـه الرجل:

- إن بأرضك السلام.

قال موسى:

- أنا موسى نبى بنى إسرائيل.. أخبرنى الله أنك أعلم أهل الأرض.

قال الرجل:

- إنك على علم من علم الله علمكه الله، ولا أعلمه، وأنا على علم علمنى الله لا تعلمه.

قال موسى:

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦].

قال الرجل الصالح:

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨].

قال موسى:

﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف: ٦٩].

قال الرجل:

---

(١) لم يذكر القرآن الكريم اسم هذا الرجل، ولكن حديث رسول الله سماه بالخضر، وقد اختلف العلماء هل هو نبى؟ أم عبد صالح: أو نبى مرسل، الله أعلم.

واختلف العلماء كذلك فى نسبه.

قال بعضهم: ومنهم أبو إسحاق النيسابورى (الثعلبى): اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر. ينتهى نسبه إلى سام بن نوح.

وقال آخرون: إنه من صلب آدم.. أطال الله فى عمره، حتى حضر كثيرًا من الأنبياء والرسل

واختلفوا: هل مات أم ما يزال حيًا حتى اليوم.

وقالوا: إن الرسول لقيه ليلة المعراج. والله أعلم.

ونحن نرى أنه لا بأس أن نسميه الخضر كما ذكره الرسول ﷺ.

﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ۝٧٠ ﴾ [الكهف: ٧٠].

هذا كله حدث فى المكان الذى نحن بصدد الحديث عنه. وهو مجمع البحرين

وتمضى أحداث القصة بعد ذلك فى أماكن أخرى.

حين ركبا السفينة، فخرقها العبد الصالح.

وحين قتل العبد الصالح غلامًا بغير نفس.

وحين دخلا قرية، فاستطعما أهلها، فمنعوا منهما الطعام، مع ذلك وجد العبد جدارًا متهدمًا، يكاد تتساقط لبناته، فأزاله، وأعاد بناءه بلا مقابل.

وفى كل مرة كان موسى يندهش مما يفعله العبد الصالح، ويسأله:

- لم فعلت هذا؟

فيرد عليه العبد الصالح فيقول:

- ألم أقل لك إنك لم تستطع معى صبرًا ؟

بعد ذلك فسر العبد الصالح لموسى أسباب ما فعله.

أما بالنسبة للسفينة، فقد عرف أن رجال الملك يأخذون كل سفينة غصبًا، فأراد العبد الصالح أن يحدث عيبًا فى السفينة، فخرقها حتى لا يأخذها رجال الملك.

وأما الطفل الذى قتله، فقد أعلمه الله أن هذا الغلام سيرهق أبويه بكفره، وأن الله سيعوضهما عنه بطفل ينجبانه، يكون خيرًا لهما.

وأما الجدار، فكان لغلامين يتيمين فى المدينة، وكان أبوهما رجلاً صالحًا، وكان تحت الجدار كنز.

وافترق موسى عن الخضر، بعد أن أدرك الحقيقة، وهى أنه ليس أعلم أهل الأرض.

**** زمن هذه الأحداث:**

لا نستطيع أن نحدد بالضبط زمنًا لهذه الأحداث، ولكننا نستطيع أن نقول : إنها حدثت فى عهد موسى، ولعل هذا حدث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وقبل التيه.

ومن المحتمل أنها حدثت من سنة ١١٧٠ق. م - سنة ١١٥٠ق. م وفقًا لترتيب أحداث قصة موسى فى أماكنها. والله أعلم.

**** موقــع المكــان:**

يقع مكان مجمع البحرين، حيث التقى موسى مع الخضر فى مدينة باليوزم (الفرما) حيث يلتقى نهر النيل الفرع الباليوزى مع البحر المتوسط.

وتعتبر هذه المدينة أول مدخل لمصر من جهة الشرق.

تبعد هذه المنطقة عن رفح عند حدود مصر مع فلسطين حوالى ١٨٠كم.

هذه المنطقة مناخها يتبع مناخ البحر المتوسط بحرارته وجفافه صيفًا، واعتداله وأمطاره شتاءً.

هذه الأمطار تقل كلما اتجهنا شرقًا، ومصدرها الرياح العكسية الغربية.

* * * * *

هضبة التيه

التى تاه فيها بنو إسرائيل

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٦].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

أنقذ الله بنى إسرائيل مما كانوا يعانونه من مذلة وسخرة على أيدى فراعنة مصر، واستقر بهم المقام فى سيناء، ينعمون بخيراتها، ونعم الله عليهم.. فجَّر لهم العيون؛ ليستقوا من مائها، وأنزل عليهم المن والسلوى.. طعامًا لهم وحلوى.

مع ذلك.. عصى بنو إسرائيل ربهم، وعبدوا عجل السامرى، ولم يستجيبوا لما أمرهم الله به، حين أنزل عليهم الألواح التى بها أوامر وتعليمات الله لبنى إسرائيل.

كان الله قد وعد نبيه إبراهيم عليه السلام [1] أن يعطيه أرض كنعان (فلسطين)؛ لذلك طلب موسى من بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، ليدخلوا الأرض التى وعد الله بهم جدهم إبراهيم، قال لهم موسى:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١].

لكن بنى إسرائيل جبنوا عن مواجهة أعدائهم وقتالهم، وقالوا لموسى:

---

(١) هذا الوعد لا يعنى التسليم لليهود الآن بحقهم فى فلسطين، ذلك لأن هذا الوعد كان لإبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وقد تحقق هذا الوعد على يد نبى الله داود الذى انتصر على الفلسطينيين، وجاء من بعده ابنه نبى الله سليمان، ووسع أملاك دولته على حساب الدول المجاورة له، فلما عاد بنو إسرائيل إلى عصيان الله والأنبياء، انقسمت دولتهم إلى قسمين، وسلط الله عليهم جيرانهم من الآشوريين والفينيقيين والمصريين والفرس، حتى ضاعت معالم الدولة اليهودية.

مع ملاحظة أن الوعد كان لبنى إسرائيل، لكن يهود اليوم ليسوا من سلالة بنى إسرائيل، فقد انتشرت الدعوة اليهودية خارج فلسطين إلى دول كثيرة فى أوربا وآسيا وأفريقيا، ولم تعد قاصرة على بنى إسرائيل، وليس كل يهودى اليوم من بنى إسرائيل. (المؤلف).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا:

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢].

هكذا.. عصى بنو إسرائيل نبيهم موسى وإلههم.

لذلك كتب الله على بنى إسرائيل التيه فى البرية أربعين سنة، حرم عليهم فلسطين، قال الله لموسى:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

هكذا.. كانت بداية التيه، تيه بنى إسرائيل حتى تنتهى الأجيال التى عصى أصحابها موسى.

وسار بنو إسرائيل فى الأرض تائهين، لا يدرون ماذا يفعلون، ولا أين ينتهى بهم السير.

لم يكونوا تائهين فى الأرض فقط، لكنهم كانوا يسيرون طوال النهار، فإذا جنَّ الليل، هدأوا للراحة والنوم، ولكنهم لدهشتهم حين يستيقظون فى الصباح، يجدون أنفسهم فى نفس المكان الذى بدأوا فيه رحلة الأمس، كأنهم لم يغيروا مكانهم!!

وتاه بنو إسرائيل فى البرية أربعين عامًا، مات خلالها هارون ومن بعده موسى عليه السلام، وانقرض كل من عصى موسى، ولم يبق منهم إلا من كانت أعمارهم لا تزيد عن العشرين عامًا.

وسيكون لنا مع هؤلاء لقاء آخر فى مكان آخر.

**** زمن هذه الأحداث :**

واضح من خلال الأحداث أنها وقعت فى عصر موسى عليه السلام، وقعت لبنى إسرائيل فى سيناء بعد خروجهم من مصر سنة ١٢٠٥ق. م.

ومعروف أن دخول بنى إسرائيل أريحا بقيادة نبى الله يوشع سنة ١١١٤ق. م.

∴ تكون هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١١٥٤ق. م حتى سنة١١١٤ق. م.

**** موقع منطقة التيه :**

تنقسم سيناء إلى ثلاثة مناطق:

١) القسم الجنوبى الذى يقع فيه جبل موسى. وهى منطقة جبلية.

٢) القسم الشمالى: وهو عبارة عن سهول تطل على البحر المتوسط، وهو أقل المناطق فى سيناء ارتفاعًا.

٣) القسم الأوسط: وهو هضبة مرتفعة تشمل هضبة العُجْمة وهضبة التيه.

ومعنى هذا أن بنى إسرائيل تاهوا فى المنطقة التى تشغلها الآن هضبة التيه ، ولعل هذه الهضبة سميت بهذا الاسم، لأنها منطقة تيه بنى إسرائيل.

تقع هضبة التيه بين هضبة العجمة فى الجنوب، والسهول الساحلية الشمالية.. يخترقها عدة أودية تمتلئ بالمياه فى فصل الشتاء (بسبب الرياح العكسية) وتكون جافة فى فصل الصيف.

هذه الأودية، من أهمها وادى العريش الذى ينبع من هضبة العجمة، وينتهى إلى البحر المتوسط.. ثم وادى اليرموك، ووادى العقبة، ووادى سدر.

* * * * *

أريحا

أول قرية في فلسطين دخلها بنو إسرائيل

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩].

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

**** قصة أحداث المكان:**

خرج بنو إسرائيل من مصر، بعد أن عبر بهم موسى عليه السلام بمعجزة من الله، وأغرق الله فرعون مصر ورجاله.

اتجه بنو إسرائيل إلى سيناء، حيث استقروا فيها، ينعمون بالأمن، وبما وهبهم الله من خيرات ونعم، لتمضى بهم الحياة كما شاءها الله لهم.

ذات يوم...

طلب موسى من قومه بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، سكان فلسطين، ليدخلوا الأرض المقدسة التى وعد الله بها إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، قال موسى لقومه:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١].

لكن بنى إسرائيل كالعهد بهم.. جبنوا، وخافوا، وقالوا لموسى:

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢٢].

من أجل ذلك.. كتب الله على بنى إسرائيل التيه في البريَّة أربعين سنة.

خلال الأربعين سنة، توفى نبى الله هارون، ودفن فى سفح جبل هور بسيناء، ومن بعده توفى موسى ﵇، ودفن فى جبل نبو، على غير بعيد من الأرض المقدسة فلسطين، وخلف موسى في النبوة وقيادة بنى إسرائيل يشوع بن نون[١].

كان جيل رجال موسى قد انتهوا جميعاً أثناء فترة التيه، وخلف من بعدهم خلف جديد، أدركوا ما أصاب أباءهم وأجدادهم بسبب جبنهم، فتحمسوا لدخول فلسطين (أرض كنعان)، ليحققوا وعد الله.

أمر الله يوشع بن نون ورجاله أن يدخلوا فلسطين، ولأن أقرب مكان إلى مقام بنى إسرائيل كانت قرية أريحا التى لا يفصلها عن بنى إسرائيل إلا نهر الأردن، قال الله لهم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨].

ومما يروى أن الإسرائيليين كانوا يحاربون الكنعانيين يوم الجمعة، وحان موعد غروب الشمس، فدعا يوشع ربه أن يطيل ساعات النهار، ويؤخر غروب الشمس، واستجاب الله له.

لكن بنى إسرائيل حين دخلوا قرية أريحا لم يتبعوا قول الله لهم.. دخلوا زاحفين ولم يدخلوا ساجدين، وكانوا يقولون حنطة التى تعنى القمح، بدلاً من حِطَّة، وفى هذا قال الله تعالى:

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٩].

---

(١) يوشع بن نون بن أفرابيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، هو فتى موسى الذى حضر معه لقاءه مع الخضر، جاء ذكره في القرآن الكريم باسمه إليسع في قوله تعالى:﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٦]. كما جاء بصفته فتى موسى فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

**** زمن هذه الأحداث:**

اختلف المؤرخون فى تاريخ موعد خروج بنى إسرائيل من مصر، ولقد ذكرنا - ربطاً بالتاريخ الفرعونى - أن هذا وقع في نهاية عصر الفرعون سيتى الثانى أى حوالى سنة ١٢٠٥ ق.م.

فإذا أضفنا إلى هذا التاريخ خمسين عاماً عاشها بنو إسرائيل في سيناء، بالإضافة إلى أربعين عاماً هى مدة التيه في سيناء، فيمكن أن نعتبر أن دخول بنى إسرائيل أريحا كان حوالى سنة ١١١٥ ق. م مع التجاوز عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً.

ويقول بعض المؤرخين إن يوشع حكم بنى إسرائيل سبعة وعشرين عاماً.

ويعتبر بداية عصر يوشع بن نون هو عصر قضاة بنى إسرائيل الذى انتهى بعصر شمشون، والتى قامت خلاله عدة حروب بين الإسرائيليين وجيرانهم، فقد الإسرائيليون خلالها تابوت العهد [١] استولى عليه الفلسطينيون ووضعوه عندهم فى قرية اسمها بيت داجون، وأعادته الملائكة إلى بنى إسرائيل، ليبدأ بعد ذلك عصر النبى داود عليه السلام.

**** موقع المكان:**

تقع أريحا غرب نهر الأردن، وتبعد عنه حوالى ٨ كم، كما تقع شمال شرق مدينة القدس [٢]، وتبعد عنها حوالى ١٠ كم، وتقع شمال بيت لحم، وتبعد عنها نحو ١٠ كم.

أمطار هذه المنطقة شتوية.

* * * * *

---

(١) تابوت العهد أو تابوت الشهادة: هو صندوق من خشب السنط ١.٥ × ١ × ١ متراً، مغطى من الداخل والخارج بطبقة من الذهب، يحتوى هذا التابوت على لوحى الشهادة اللذين نقشت عليها وصايا الله لبنى إسرائيل، كان هذا التابوت يجلب لبنى إسرائيل النصر على أعدائهم، استولى عليه الفلسطينيين، ثم تركوه ليعود إليهم. جاء ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨].

(٢) القدس: كانت تعرف باسم يبوس عاصمة اليبوسيين، فرع من الكنعانيين، ثم عرفت بعد ذلك باسم أورسالم (أورشليم) وتعرف الآن، باسم بيت المقدس، وهى عاصمة للدولة الفلسطينية.

سبـــأ

بين سد مأرب وقصة بلقيس مع سليمان

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

يمكن أن نقسمها قسمين: أحدهما فى عصر، والثانية فى عصر آخر، تلك الأحداث التى أوردها القرآن الكريم.

أما الأحداث الأولى، فتتلخص فى أن أحد ملوك اليمن، واسمه سبأ (١) كان ملكًا عظيمًا ذكيًا، مخلصًا لوطنه ولشعبه.. كان أبوه قد أعده للحكم، وسياسة الدولة.

ذات يوم..

صحب سبأ نفرًا من خاصته ورجال حاشيته من ذوى الرأى والحكمة، ومضى فى مملكته، يتفقد أحوال رعيته.. صعد النجود، وهبط الوديان، وتسلق رؤوس الجبال، حتى وصل إلى مكان فسيح بين جبلين، تنساب فيه الأمطار التى تسقط فى فصل الصيف، والتى تشتهر بها اليمن؛ بسبب ارتفاعاتها، وكان سبأ يعلم أن مياه هذه الأمطار تنحدر

---

(١) سبأ: كان اسم لرجل، ثم أطلق على مدينة، ثم على دولة، هو سبأ (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب ابن قحطان من العرب العاربة.. ينتهى نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، وسبب تسميته بعبد شمس أنه وقومه كانوا يعبدون الشمس، يؤكد هذا ما جاء فى القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

نحو مياه البحر، دون أن يستفيد منها أهل اليمن شيئًا.

لذلك فكر سبأ والرجال معه أن يبنوا سدًا بين الجبلين، يحجز مياه الأمطار خلفه، وأن يجعلوا لـه بوابات، تفتح وتغلق لتصريف المياه خلفه حسب الحاجة.

وبعد عدة مناقشات.. استقر الرجال على بناء السد.

كان العمال يبنون السد بإشراف الملك ورجاله. منهم من يقطع الأحجار، ومنهم من يبنى، حتى أقاموا السد بين الجبلين، وجعلوا لـه ثلاثين بابًا، تفتح وتغلق لانسياب المياه حسب الحاجة.

وحين جاء موسم سقوط الأمطار، احتجزت المياه خلف السد، وصرفت فى قنوات، لاستخدامها فى رى المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة.

وهكذا حقق سبأ لشعبه الرفاهية.

وتتابعت السنوات، وكل ملك من الملوك الذين جاءوا بعد سبأ يهتمون بالسد مثل بلقيس التى رفعت بناءه، وآخرون كانوا يقومون بأعمال الصيانة، حتى يؤدى مهمته على أكمل وجه.

وزادت خيرات مدينة سبأ، وعظمت وربحت تجارتها.

ثم شاء الله لأهل سبأ أن يتدينوا بديانة اليهودية، ويؤمنوا برب سليمان عليه السلام إلهًا واحدًا، حين دخلت هذه الديانة فى عهد بلقيس، ونبذوا عبادة الشمس.

لكن الملوك الذين تتابعوا بعد ذلك أهملوا السد، ولم يهتموا بصيانته، وكفروا بالله، وعبدوا الأصنام، ولم يشكروا ربهم على نعمه عليهم.

فكان جزاءهم أن أرسل الله عليهم سيل العرم، بأمطاره الغزيرة، فتحطم سد مأرب، وغرقت بلاد سبأ، وتفرق شعبها، وهربوا إلى مناطق أخرى فى شبه الجزيرة العربية (تفرقوا سبأ).

أما الأحداث الأخرى، فنلخصها فيما يلى:

فقد حدث فى عهد الملكة بلقيس [١]. التى ملكت حكم سبأ، وسارت على نهج أبيها فى العناية بسد مأرب.. زادت فى ارتفاعه، واهتمت بصيانة وإعادة بناء ما تهدم منه.

فى تلك الفترة من التاريخ، كان يعيش نبى الله سليمان عليه السلام.

وقصة سليمان مع بلقيس معروفة، حين رآها هدهد سليمان مع قومها يسجدون للشمس من دون الله، وأخبر الهدهد سليمان بما رآه، فبعث إليها سليمان برسالة، ألقاها الهدهد عليها، وجمعت بلقيس رجالها تستشيرهم فيما يدعوها إليه سليمان، ترك عبادة الشمس وعبادة الله وحده.

بعثت بلقيس بهداياها إلى سليمان لتسترضيه، ولكنه رفضها، وأصر على أن تؤمن وشعبها بالله.

وجاءت بلقيس لزيارة سليمان فى عاصمة مملكته أورشليم، فأدهشها ما رأت.. سليمان سخر الجن والإنس والطيور، وكانت تعلم كل معجزات سليمان.

وزادت دهشة بلقيس حينما رأت عرشها الذى تركته فى سبأ، قد أحضره أحد رجال سليمان.

عند ذلك آمنت بلقيس بإله سليمان.. وتبعها شعبها، فكان هذا بداية لوصول اليهودية اليمن.

---

(١) هى بلقيس بنت البشرج الهدهاد بن الحارث بن قيس بن صنعاء بن سبأ.. ينتهى نسبها إلى قحطان، فهى حفيدة سبأ، هذا الملك العظيم.

**** زمـن الأحـداث:**

أمـا القصـة الأولـى: وهـى أحداث بنـاء سد مـأرب ثم تصدعه.. فقد اختلف الـرواة والمفسرون متى كان حكم الملك سبأ؟ ومتى بنى سد مأرب؟.

معروف أن بلقيس جاءت بعد سبأ بعدة ملوك، قد تصل مدة حكمهم إلى ١٠٠ سنة، ومعروف أن بلقيس عاصرت حكم سليمان، وأن سليمان كـان من سنة ٩٨٩ق. م - سنة ٩٣١ق. م.

يمكننا أن نقول إن بنـاء سد مـأرب فى عصر الملك سبأ كـان قبل بلقيس وسليمان بحوالى مائة عام، أى حوالى سنة ١٠٩٠ق. م.

وقياسًا على هذا يمكن أن نقول إن سبأ بنـى سد مـأرب خلال سنة ١٠٩٠ق. م إلـى سنة ١٠٥٠ق. م.

هذا عن الأحداث التى وقعت فى الفترة الأولى.

أما أحداث الفترة الثانية فكانت من حوالى سنة ٩٥٠ق. م - ٩٤٠ق. م. خلال حكم سليمان عليه السلام.

**** موقـع سـبأ:**

تقع مدينة سبأ فى اليمن، بين حضرموت ونجران، وكانت عاصمتها صرواح، ثم مأرب، وهى إحدى الدول التى حكمت اليمن: معين، سبأ، حمير.

ومعروف أن سطح اليمن جبلـى، تسقط أمطـاره فـى فصل الصيف بسبب هبـوب الريـاح الجنوبيـة الشرقية الآتيـة من المحيط الأطلنطـى، وبعد عبورها خط الاستواء، تنحرف إلى يمين اتجاهها بسبب منطقة الضغط المنخفض فى جنوب غرب آسيا، فتسقط أمطارًا، تغزر على المرتفعات وفى الغرب، وتقل كلما اتجهنا نحو الداخل.

* * * * *

إيلـــة

القرية التى كانت حاضرة البحر وأصحاب السبت

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧].

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [النساء: ١٥٤].

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل: ١٢٤].

**** أحداث هذا القرية :**

فى هذه القرية كان يعيش حوالى ٧٠٠٠٠ شخصًا يدينون بالديانة اليهودية التى وصلت إليهم عن طريق نبى الله موسى عليه السلام حين كان يعيش وقومه فى سيناء.

معروف أن الديانة اليهودية تُحَرِّم على اليهودى العمل فى يوم السبت، وأن عليه فى هذا اليوم أن يتفرغ لعبادة الله (١).

ولأن هذه القرية تقع على البحر.. على خليج العقبة، أحد ذراعى البحر الأحمر.. لذلك كانت أهم حرفة لسكانها هى صيد الأسماك، أو ما كانوا يطلقون عليه الحوت.

استمر اليهود على عهدهم لربهم أن يكون يوم السبت أجازة لا يعملون فيه، لا يصيدون سمكًا.

---

(١) من وصايا الله لبنى إسرائيل، تقديس يوم السبت. راجع الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج، ومما يروى أن موسى أقام الحد على رجل كان يحتطب يوم السبت.

ثم خلف من بعدهم خلف، لا حظوا فى يوم السبت.. يوم أجازتهم أن الأسماك تكون كثيرة واضحة أمام عيونهم، بل إن بعضها كان يطفو فوق سطح المياه، كأنها تتحداهم، ولكنهم لا يستطيعون صيدها، تمسكًا بما أمرهم موسى به.

لكن الدهشة كانت تصيب القوم فى صباح باقى أيام الأسبوع، حين يدركون أن الأسماك تختفى، لا تظهر، تبتعد عن شباكهم، فيلتهب حقدهم على هذه الأسماك، وعلى شريعة موسى.

لذلك فكر بعض أصحاب هذه القرية أن يخرقوا تعاليم شريعة موسى.. عزَّ عليهم أن تبور تجارتهم، وأن يفقدوا موردًا هامًا من موارد معيشتهم، كان عليهم أن يحتالوا على شريعتهم.

بعضهم حفر حفرًا بجوار شاطئ البحر، وأوصلها إليه بقنوات تسمح بدخول مياه البحر إليها بما فيها من أسماك، كانوا يفعلون هذا يوم الجمعة.

فإذا كان مساء يوم الجمعة، تجمعت الأسماك فى مياه هذه الحفر، فسدوا عليها طريق العودة إلى البحر، واحتبسوها فى مياه هذه الحفر (البحيرات) التى صنعوها، وتركوها تزداد يوم السبت.

فإذا كان يوم الأحد، اصطادوا هذه الأسماك من مياه هذه البحيرات الصغيرة.

بعض آخر من أهل القرية، عمدوا إلى أقفاص، فألقوا بها فى البحر يوم الجمعة، تمتلئ بالأسماك، وتحبس فيها، فإذا كان يوم الأحد. أخرجوا هذه الأقفاص بما فيها من أسماك.

هكذا احتال أهل هذه القرية من اليهود على شريعتهم، حققوا غايتهم، لقد نسى هؤلاء أن الغاية لا تبررها الخطيئة، وأن الوسيلة لا تعطى فرصة للحرام.

اختلف أهل إيلة فى هذا الموقف.

فريق منهم هم الذين احتالوا على دينهم.. أصروا على ما فعلوا، وبرَّروه بحاجتهم، وأنهم لم يخرقوا شريعة موسى يوم السبت.

فريق ثان نهوا هؤلاء العاصين عما فعلوا، ونصحوهم أن يعودوا إلى الصواب.

وبين هؤلاء وهؤلاء فريق ثالث سكتوا، وقالوا للفريق الناصح:

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قالوا لهم:

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

لكن العصاة من الفريق الأول، لم يستمعوا إلى نصيحة إخوانهم، واستمروا على تحايلهم على شريعة موسى، فابتعد الآخرون عنهم.

ثلاثة أيام.. لم يخرج هؤلاء العصاة من دورهم، فلما اقتحموا عليهم أبواب دورهم، فوجئوا أنهم تحولوا إلى قردة، مسخهم الله على هيئة القرود، جزاء ما فعلوا.. كبرت آذانهم، وطالت أظافرهم، وكثفت شعورهم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فما مضت إلا بضعة أيام، حتى ماتوا جميعًا.

لقد كان هؤلاء مثلاً للعنة الله على الفاسقين.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧].

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

لم يحدد القرآن الكريم زمن وقوع أحداث هذه القصة فى مكانها، لكن بعض الرواة ومنهم الثعلبى فى كتاب (عرائس المجالس) (١) ذكر هذه القصة خلال حديثه عن قصة نبى الله داود ﷺ والذى كان عصره من سنة ١٠٤١ق. م إلى سنة ١٠١٠ق. م (٢).

وفى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة فى قولـه تعالى:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقد فسر بعض المفسرين هذه الآية: مثل الجلالين (٣)، بأن هذه الآيات تشير إلى أن نبى الله داود لعن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل أصحاب السبت لما فعلوا، كما لَعن عيسى ابن مريم بنى إسرائيل، وذلك فى قولـه تعالى:

﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠ ﴾ [المائدة: ٦٠].

نخرج من كل هذا أن أحداث قصة أصحاب السبت وقعت حوالى سنة ١٠٠٠ق. م خلال عصر حكم نبى الله داود ﷺ.

على أننا يجب أن نشير هنا إلى حادثة أخرى وقعت فى هذه المنطقة فى صدر الإسلام.

دخلت الديانة المسيحية مدينة إيلة بعد ذلك.

فلما خرج الرسول ﷺ فى جيش، العسرة، متجهًا إلى تبوك فى رجب سنة ٩هـ للقاء جيش الرومان.. جاء يوحنا بن رؤية حاكم إيلة من قبل الرومان، وقدم الهدايا للرسول، وصالحه على السلام، ودفع الجزية.

---

(١) مجالس العرائس للثعلبى ص٣٣٣.
(٢) أطلس تاريخ الرسل والأنبياء ص ٥٤.
(٣) تفسير الجلالين ص ١٣١.

وكانت هذه الرحلة بداية لدخول الإسلام إلى مدينة إيلة بعد ذلك.

**** موقــع إيلـة :**

تقع مدينة إيلة والتى تعرف باسم إيلات شمال العقبة، على رأس خليج العقبة أحد ذراعى البحر الأحمر، وعلى الطريق بين الطور ومدين، تلتقى عندها حدود أربع دول عربية هى مصر والأردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية

* * * * *

نِينَوَى

وقصة يونس عليه السلام

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

كان أهل مدينة نينوى يعبدون الأصنام، جحدوا فضل الله الذى أسبغ عليهم رزقه، وأجزل لهم سعادتهم، بعث الله إليهم نبيًا هو يونس[(١)] عليه السلام؛ ليدعوهم إلى الرجوع إلى الله، ونبذ عبادة الأصنام، وترك الموبقات والفواحش التى كانوا يرتكبونها، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، واستمروا على كفرهم وفسقهم وضلالهم، ورفضوا التوبة والإنابة إلى ربهم، وأنكروا على يونس نبوَّته، وأهانوه، وانصرفوا عنه إلى عبادة أصنامهم، وقالوا له: ما نراك إلا بشرًا مثلنا.

غضب يونس من أهل نينوى، وغادر مدينتهم، واتجه إلى الشاطئ، ليركب سفينة تقله؛ إلى مكان بعيد عن هؤلاء الكفار، مغاضبًا عليهم لربه [(٢)].

---

(١) يونس (يونان) بن متى (أمه)، ويقول أهل الكتاب ابن أمتاى(العهد القديم سفر يونس الإصحاح الأول) ويونس يعرف باسم(ذو النون)وصاحب الحوت، ينتهى نسبه إلى بنيامين بن يوسف عليه السلام.

(٢) يقال إن يونس كان يقصد الهرب إلى مدينة ترشيش إحدى المدن الفينيقية (لبنان). (قصص القرآن الكريم للشيخ عبد الوهاب النجار).

ركب يونس السفينة، لكن ريحًا عاصفة واجهتها، مما دفع ربَّانها إلى الإعلان عن التخلص من أحد ركابها ، لتقل حمولتها، وعملوا قرعة، فوقعت على يونس؛ فألقوه فى البحر.

التقم الحوت يونس، ابتلعه فى جوفه، شاء الله ألا تمس أسنان الحوت يونس بأذى.

وما يملك يونس وهو فى بطن الحوت إلا أن يُسَبِّح ربه، يناديه:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

استمر يونس فى بطن الحوت يسِّبح الله، ويدعوه ثلاثة أيام، استجاب الله لدعائه، ولفظ الحوت يونس فى العراء عاريًا.. وحيدًا، وأنبت الله عليه شجرة اليقطين (القرع) تدفئه، وتدارى عورته، حتى تحسنت صحته.

مرة ثانية.. بعث الله يونس إلى قوم نينوى، يدعوهم إلى عبادة الله، وأنذرهم إذا لم يؤمنوا خلال أربعين يومًا، سينالهم من الله العذاب الشديد.

اهتدى أهل نينوى، وأنابوا إلى ربهم، خوفًا من عقاب الله لهم، آمنوا بالله، وتضرَّعوا إلى الله أن يعفو عنهم ويسامحهم.. حتى ملكهم كان من التائبين، وصاموا [١] ثلاثة أيام، إعلانًا عن إيمانهم، ورجوعهم إلى الحق.

لذلك شاء الله أن يعفو عنهم، ومتعهم بالحياة والأمن والسعادة.

كان ذلك بفضل هداية الله لأهل هذه القرية نينوى التى نفعها إيمان أهلها.

---

(١) يعرف هذا الصيام بصوم نينوى، أو صوم يونس، يدوم ثلاثة أيام، ينقطع الصائم فيه تمامًا عن الأكل والشراب، ويتفرغ للعبادة، وهو مناسبة لرحمة الله لأهل نينوى بعد إنذار نبى الله يونان لهم. (المنجد ص٥٤٦).

**** زمن هذه الأحداث:**

كانت حياة يونس عليه السلام من سنة ٨٢٠ق. م - ٧٥٠ق. م [١].

وكانت بعثته سنة ٧٨٠ق.م.

أى أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٧٧٠ق. م.

**** موقع مكان هذه الأحداث:**

مدينة نينوى: إحدى مدن العراق القديمة، تقع شرق نهر دجلة، كانت ذات يوم عاصمة الدولة الآشورية القديمة، تقع بالقرب من الموصل (وبالموصل مسجد باسم النبى يونس).

وهى تقترب من نهر الزاب الأسفل، أحد روافد نهر دجلة الذى يفيض ماؤه فى فصل الربيع بسبب ذوبان الجليد الذى تكون على الجبال الواقعة شرق العراق والتى هى امتداد لجبال زاجروس.

* * * * *

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥٥.

أورشليـــم

القرية التى كانت خاوية على عروشها

﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعد وفاة نبى الله سليمان سنة ٩٣١ق. م، تنازع أبناؤه الملك واشتد الصراع بين ولديه يربعام ورحبعام، مما أضعف المملكة، فانقسمت إلى دولتين سنة ٩٢٧ق. م.

١) دولة إسرائيل فى الشمال، وعاصمتها نابلس، بزعامة يربعام، وقد كانت نهاية هذه الدولة على يد سرجون الثانى الآشورى سنة ٧٢٢ق. م، وكان آخر ملوكها هوشع من أيلة.

٢) دولة يهوذا فى الجنوب، وعاصمتها أورشليم، بزعامة رحبعام، وقد سقطت فى أيدى الملك البابلى نبوخذ ناصر(بختنصر) سنة ٥٨٦ق. م فى آخر عهد ملوكها صدقيا.

دعنا من مملكة الشمال فالأحداث التى نحن بصددها وقعت فى أورشليم [(١)] عاصمة دولة يهوذا.

كان واضحًا منذ أن انقسمت دولة سليمان أنها ستتعرض لهجمات أعدائها، تنبأ بهذا أرميا النبى.

---

(١) أورشليم: هى التى كانت تعرف باسم يبوس، عاصمة اليبوسيين، ثم إيليا فى عهد الرومان، ثم القدس أو بيت المقدس فى العصر الإسلامى، فى حديث لرسول الله أنه قال: ((من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة، فلينظر إلى القدس)). رواه ابن عباس.

فى قرية اسمها قرية العنب، إحدى القرى القريبة من أورشليم، كان يعيش نبى الله عزير[١].

ذات يوم.. استعد عزير لمغادرة قريته إلى جهة ما، فاقتطف بعض ثمرات التين ووضعها فى سلة، وعصر بعض عناقيد العنب، واحتفظ بعصيرها فى وعاء، وركب حماره فى طريقه إلى حيث يشاء.

كانت أورشليم فى ذلك الوقت قد خرَّبها الملك البابلى نبوخذ نصر، وحطم هيكل سليمان، واستولى على ما فيه من ذهب وكنوز.

تعجب عزير مما يراه.. هذه المدينة التى كانت بالأمس عامرة بالحياة، تموج فيها الحركة، تعلو الفرحة والابتسامة وجوه الناس.. ما بالها اليوم، صارت خرابًا؟! وجوه الناس كالحة عابسة، فقال فى نفسه:

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

كان طول الطريق قد أجهد عزير، فاستند إلى جدار حائط متهالك وترك حماره يرعى الكلأ، ونام.

بعد حين..

استيقظ عزير من نومه، فسمع هاتفًا يناديه:

- يا عزير.. كم لبثت؟

قال عزير:

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

---

(١) هو عزير (عزرا) بن سرايا بن حلفيا بن شلوم بن صادق، ينتهى نسبه إلى هارون بن عمران (أخى موسى). ذكره الثعلبى ص٤٠٠، والإصحاح الأول من عزرا، له سفر باسمه أحد أسفار العهد القديم، يتكون من عشرة إصحاحات.. ذكره القرآن الكريم وأنكر على اليهود ما يدعونه بأن عزير ابن الله، جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

عند ذلك، سمع عزير من يقول لـه:

﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

فـى دهشـة، بحـث عزيـر فـى جـراب متاعـه، فـإذا التـين وعصـير العنـب مـازالا طازجين، لم يمسهما العفن.

فجاءه صوت الهاتف يناديه:

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكبرت الدهشة على وجه عزير، وهو ينظر إلى حماره، لقد كان مجرد هيكل عظمى، لكن سرعان ما كساه اللحم، وجرت الدماء فى عروقه، ثم نهق، دليلاً على أنه صار حيًا..

عاد بعد ذلك عزير.. بعد مائة عام إلى داره فى قرية العنب، فرأى معالمها قد تغيرت.. دروبها وشوارعها تبدلت عما كانت عليه من قبل، حتى الناس أنكروا معرفتهم به. أهله لم يعرفوه!! امرأة عجوز كان عمرها مائة وعشرين عامًا.. لقد تركها، وكان عمرها عشرين عامًا، لكن وجهها غضنته السنون، وانحنى ظهرها، وابيض شعرها، لولا بقية من ذاكرتها أسعفتها، فتذكرته، إنها قدرة الله ومشيئته.

فهل ستعود أورشليم عامرة كما كانت؟، لقد شاء الله لعزير أن يشترك فى إعمار أورشليم بعد خروج الجيش البابلى، وعودة اليهود من بابل إليها.

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من أحداث التاريخ أن خراب أورشليم كان على يد الملك البابلى نبوخذ ناصر (بختنصر) الذى استولى عليها سنة ٥٨٦ ق. م.

وأثناء المائة عام التى نامها عزير تغيرت الأمور، استطاع قورش (١) ملك الفرس أن ينتصر على البابليين، ويستولى على أملاكهم، ومنها أورشليم.

(١) قورش: مؤسس الدولة الفارسية (٥٦٠ق. م - ٥٢٩ق. م) المنجد ص٤٢٥.

صحيح أن القرآن القريم قد أغفل الحديث عن زمن عزير، وكل ما جاء فى العهد القديم عن عزرا [١] أنه حضر فترة حكم البابليين لأورشليم، أى أنه عاش من حوالى سنة ٥٥٠ ق. م إلى سنة ٤٥٠ ق. م، يؤكد هذا ما جاء فى موسوعة المنجد أن عزرا عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد، معروف أن قورش هذا هو الذى أعاد بناء الهيكل، كان ذلك بفضل إحدى اليهوديات أستير [٢] التى تزوجت من أخسويرش الفارسى.

وهذا يعنى أن عزرا عاش فى فترة سابقة لأرمياء النبى [٣].

على أننا يجب أن نشير هنا إلى أن أورشليم هذه ما كادت تخرج من نير استعمار الفرس، حتى استولى عليها الإسكندر الأكبر، لتصبح ضمن إمبراطوريته الواسعة.

فلما استولى الرومان على أملاك الإسكندر ومن تبعه من اليونانيين، دخلت أورشليم والتى أصبح اسمها (إيليا) فى نطاق الدولة الرومانية سنة٣٠ق. م.

ثم شاء الله لحكمة أرادها أن يستعيد الفرس قوتهم، وأن يهاجموا الرومان فى عقر دارهم، كان ذلك بواسطة خسرو أبروير سنة ٦١٤م، وهى الحرب التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة الروم [٤].

ثم كان استيلاء العرب المسلمين [٥] على إيليا، التى سموها باسم القدس، كان ذلك سنة ١٥ هـ (٦٣٦م) وجاء عمر بن الخطاب إلى القدس، وتسلم مفاتيح المدينة، وعقد معاهدة صلح مع القساوسة على دفع الجزية والسلام مع أهل القدس، وأقام فيها مسجدًا عرف بمسجد عمر.

واستمرت القدس خاضعة للحكم العربى الإسلامى طوال عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويين والعباسيين.

---

(١) راجع الإصحاح الأول من عزرا أحد أسفار العهد القديم.
(٢) أستير: إحدى بنات اليهود، لها سفر باسمها أحد أسفار العهد القديم.
(٣) المنجد ص٣٥٠.
(٤) راجع قصة أدنى الأرض وأحداثها. أحد أبواب هذا الكتاب.
(٥) راجع دراسة للمسجد الحرام أحد أبواب هذا الكتاب.

حتى بعد أن تفككت الدولة الإسلامية إلى دويلات، كانت القدس تابعة لمصر خلال حكم الدولة الفاطمية، ثم الدولة الأيوبية التى تحمل رجالها بسالة الدفاع عنها فى مواجهة الصليبيين فى الفترة من ١٠٩٩م إلى ١١٨٧م.

حتى استطاع البطل صلاح الدين الأيوبى، أن يطهر القدس من الصليبيين والشرق العربى، ويطاردهم ويتتبعهم خارج حدود مصر، لتبقى القدس عربية إسلامية خالصة.

وإذا كانت القدس تخضع الآن للسيطرة الصهيونية، فلعل الأيام القادمة تقيض لها من يخلصها منهم.

**** موقع أورشليم (القدس) :**

تقع القدس فى دولـة فلسطين العربية الإسلامية.

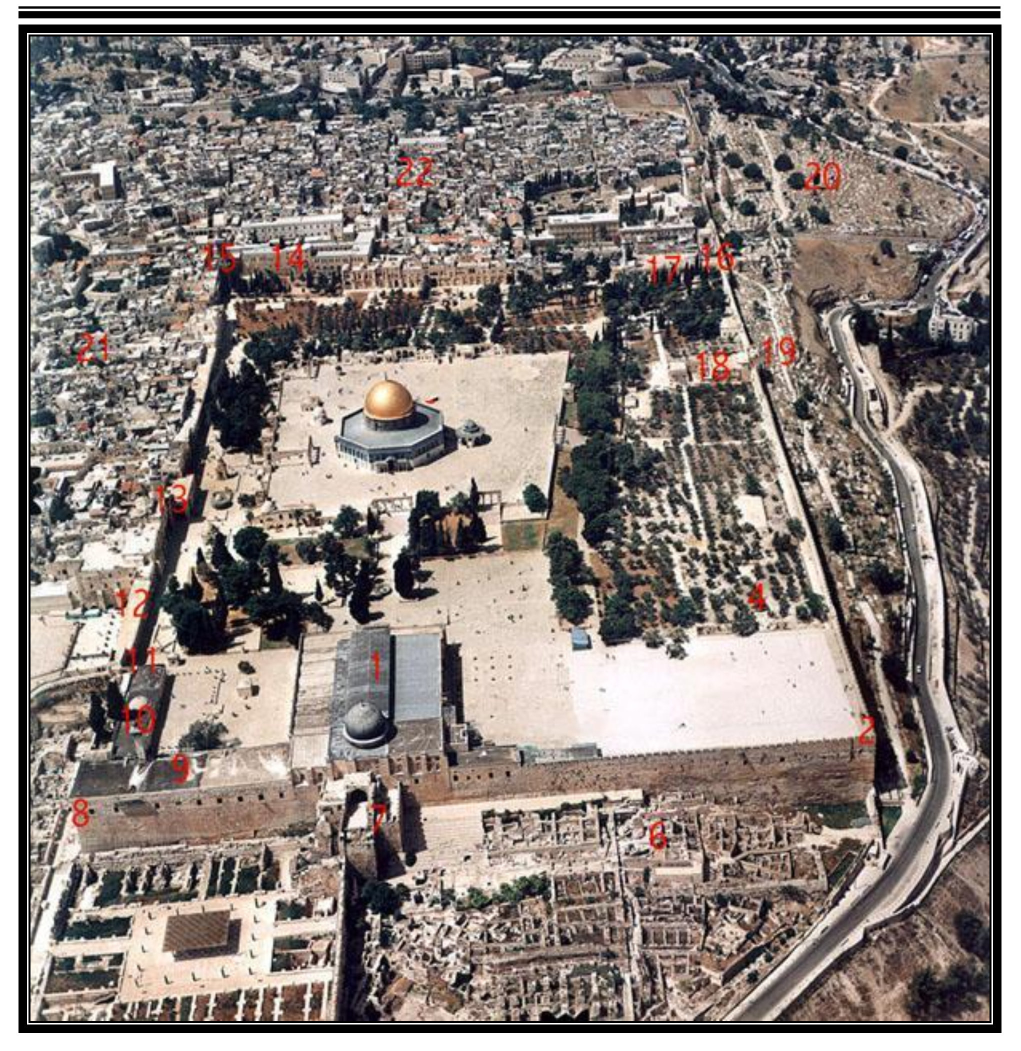
مع أن القدس لا تطل على بحار أو محيطات هامة، إلا أن لها أهمية استراتيجية ودينية، فيها توجد مقدسات إسلامية: المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وحائط البراق والساحة الكبيرة.

ومن الآثار المسيحية: يوجد عدة كنائس أهمها كنيسة القيامة.

ومن الآثار اليهودية: حائط المبكى الذى يتباكى عنده اليهود حسرة على ماضيهم.

تقع أورشليم القدس على ارتفاع حوالى١٠١٦قدمًا من سطح البحر، فى جنوبها توجد جبال الخليل، على بعد حوالى٣٠كم من غرب البحر الميت. تبعد نابلس عن شمالها بحوالى ٥٥ كم، وعن الخليل جنوبها حوالى ٣٠ كم، وهى على مقربة من بيت لحم حيث ولد المسيح عيسى.

تنتمى القدس مثل باقى شمال فلسطين إلى مناخ البحر المتوسط، والأمطار شتوية، تغزر فى الغرب، وتقل كلما اتجهنا نحو الشرق.



صورة لأورشليم القدس وبها الحرم الشريف

* * * * *

الناصــــرة

المكان الشرقى الذى فيه بشر الله مريم بعيسى

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ١٦ - ٢١].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

بادئ ذى بدء، يجب أن نشير هنا إلى أن هذا المكان هو شرق مدينة الناصرة.. تلك المدينة التى صحب يوسف النجار إليها مريم بعد خطبته لها.

معروف أن هذه الخطبة كانت بمشيئة الله فى بيت المقدس بأورشليم، فبعد أن قضت مريم ما شاء الله لها أن تقضى فى محراب هيكل الرب، وبلغت مبلغ النساء فى قومها.. كان من حقها أن تكون زوجة وأمًا تكون أسرة، ترعى زوجها وأولادها، فاختار الله أحد أقربائها وهو يوسف النجار.

ولأن شريعة اليهود فى ذلك الوقت، كانت تسمح للخطيبة أن تعيش فى أسرة خطيبها مدة عام، حتى إذا حال الحول، تزوجها.

لذلك؛ اتجهت مريم مع يوسف النجار خطيبها إلى الناصرة، وعاشا فيها كخطيبين، لم يقترنا.

اعتادت بعض فتيات مدينة الناصرة أن يتجهن إلى أحد الآبار فى الفضاء الخالى شرق المدينة، ليملأن جرارهن، وشاركت مريم الفتيات رحلتهن بين الدور والبئر من حين لآخر.

ذات يــوم.. ذهبــت مــريم كعادتهــا فــى صــحبة بعــض الفتيــات، ومــلأن جــرارهن.. لكــن لأمــر مــا شــاءه الله.. ســبقت الفتيــات مــريم فــى عــودتهن، وبقيــت مريم وحدها، تتطلع إلى الفراغ حولها.

فبينمــا كانــت مــريم وحيــدة أبصــرت أمامهــا فتــى جمــيلاً يبتسـم لهــا فــى إشــراق ومودة.

ملأ الخوف قلب مريم.. أصابتها الدهشة، والفتى ما يزال ينظر إليها.. خُيِّل إليها أن هذا الفتى يريد بها سوءًا، فاستعاذت بالله، ونادت ربها:

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨].

فى مودة وتلطف، اقترب الفتى من مريم، وقد كبرت الابتسامة على وجهه، وقال لها:

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: ١٩].

مفاجأة لم تتوقعها مريم، وهى فى وحدتها.. كيف يكون لها غلام، وهى لم تقترن بعد بخطيبها يوسف، فقالت والدموع تترقرق فى عينيها، وقد تملكها الخوف من العار والفضيحة:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠].

وما تستطيع مريم أن تدفع عنها الفتى، وهو يقترب منها، ونفخ فى جيب درعها، وقال لها:

﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: ٢١].

كان هذا ما حدث لمريم فى المكان الشرقى لمدينة الناصرة.

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من خلال هذا الموقف وأحداث التاريخ أن هذا حدث قبل ميلاد المسيح بعدة شهور، على اعتبار أن حمل مريم بدأ منذ ذلك اليوم واستمر تسعة شهور كالعادة.

أى أن هذا كان فى الشهور الأخيرة من سنة ١ ق. م.

**** موقع الناصرة:**

تقع مدينة الناصرة التى وقعت فيها هذه الأحداث فى فلسطين فى منطقة سهلية غرب نهر الأردن وشمال بيت المقدس على بعد بينهما حوالى ١٠٠كم، وبينها وبين أرض الخليل ١٣٥كم، أمطارها شتوية.

كانت الناصرة محطة تمر بها طرق القوافل التجارية المتجهة إلى الشام، وكانت وما تزال سوقًا تجارية هامة، فيها عاش المسيح طفولته وصباه، حتى بعثه الله نبيًا لدعوة اليهود إلى العودة إلى تعاليم الله، ونبذ ما كان يسود الشعب اليهودى بين انحلال وفوضى فى عبادة الأشخاص خاصة الحكام الرومان الذين سيطروا على الشعب الفلسطينى فى هذه المرحلة من تاريخه.

* * * * *

بيت لحم

المكان القصى الذى ولد فيه المسيح عيسى عليه السلام

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٢ - ٢٦].

** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:

بعد أن بشر الله مريم بعيسى.. عادت إلى دار خطيبها يوسف النجار، وأفكار كثيرة والمخاوف تتزاحم فى صدرها.

بعد حين.. بدت تباشير الحمل تظهر على مريم. لم تنكر مريم حملها.. أخبرت يوسف خطيبها بما حدث لها فى شرق الناصرة، فكر يوسف أن يسرح مريم.. يطلقها.. ينكث عن خطبتها، خوفًا من العار والفضيحة.

لكن ملاك الرب (١) أخبر يوسف ببراءة مريم، وأنها حملت بقدرة ربها، وأنها مبرأة من الخطيئة.

لذلك.. أبقى يوسف على مريم، متحملاً كل ما سيناله من قومه من عتاب وسوء معاملة واتهامات.

فى تلك الأيام، لأمر شاءه الله، صدرت تعليمات هيرودس حاكم أرض الخليل بتنفيذ الأوامر التى أصدرها الإمبراطور الرومانى أغسطس بأن يسجل كل الناس أسماءهم كل فى مكان ولادته.

---

(١) بهذا قالت الأناجيل، وإن لم يرد ذلك فى القرآن الكريم.. ولكنه أمر ممكن وقوعه من يوسف النجار.

ومع أن مريم كانت فى أخريات أيام الحمل، فقد كان عليها أن تصحب يوسف إلى عين كارم حيث يعيش قومها.

مضى يوسف ومريم فى طريقهما نحو الجنوب إلى عين كارم (١).. قطعا الطريق الطويل من الناصرة إلى الخليل، وكان عليهما أن يتجنبا قومهما، حتى لا يروا مريم، وقد بدت عليها مظاهر الحمل واضحة.

وصلت مريم ويوسف إلى مكان يعرف باسم (أفرات) (٢). وقد أصابها التعب، لثقل حملها، ومشقة طول الطريق.

طلب يوسف من مريم أن تهدأ فى مكان خال. كان هذا المكان تكثر فيه مزاود البقر حيث يسكن الرعاة، ومضى هو يبحث عن أحد الفنادق، فقد كان الزحام شديدًا فى هذا المكان بسبب كثرة القادمين لتسجيل أسمائهم.

ما كاد يوسف يبتعد حتى أحست مريم بعلامات المخاض تهزها.. أدركت فى تلك الليلة أنها ستضع جنينها**!!**

لم يمض غير قليل.. حتى انفصل عن مريم جنينها.. طفل أضاء المكان حوله نورًا.

لا شك أن مريم - وليس معها من يقف بجانبها - أحست بالوحدة تقلق خاطرها، وعادت إليها صورة قومها حين يرونها تحمل طفلاً، قبل أن يحين عليها الحول، لا شك أنهم سيتقوَّلون على شرفها، ويتهمونها فى عفتها وسلوكها**!**

وما تملك مريم فى هذا الموقف إلا أن تلوذ بربها.. تناديه.

---

(١) عين كارم: قرية تقع جنوب بيت المقدس بحوالى ٨كم، وهى إحدى قرى أرض الخليل. نشأت هذه القرية حول عين ماء، وكان يعيش فيها نبى الله زكريا وزوجه أليصابات خالة مريم وعمران والد مريم وزوجه حنة، هى الآن مستوطنة يسيطر عليها اليهود.

(٢) أفرات: هذا المكان الذى مر به يعقوب عليه السلام ومعه أبناؤه وزوجاته بعد عودته من أرض فدان أرام بالعراق، حيث كان يعيش عند خاله لابان، وفى هذا المكان وضعت زوجته راحيل ابنها بنيامين (شقيق يوسف) وماتت، فدفنها يعقوب فى هذا المكان.. عرف هذا المكان بعد ذلك باسم بيت لحم.

﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣].

ولدهشة مريم.. جاءها صوت ملاك الرب يهتف بها:

﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم: ٢٤].

ووجدت مريم على مقربة منها سريًا يجرى ماؤه عذبًا.. صافيًا، فقامت إليه وغسلت طفلها وقمطته بخرقة كانت معها، وشربت من ماء السرى ما استطاعت أن تروى ظمأها.

أحست مريم بضعف قواها، فقد أجهدها المخاض قليلا، وكانت ما تزال فى وحدتها، فراحت تجول بنظرها حولها، فإذا جذع نخلة.. جف سعفها، خالية من ثمرها، فقد كان الوقت شتاءً، انتهى موسم الرطب.

لكن مريم لدهشتها، عاودها صوت ملاك الرب يهتف بها:

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٦].

وكبرت الدهشة على مريم حينما رأت جذع النخلة قد استحال إلى نخلة باسقة، تدلَّت منها عناقيد البلح، ورغم ضعفها، هزت مريم النخلة هزات واهنة خفيفة، فتساقطت إليها حبات البلح رطبًا.. تناولتها مريم.. شهيَّة لذيذة، فمسحت عنها الجوع والوهن، فحمدت لله فضله، وشكرته على نعمته.

ثم قامت مريم إلى وليدها، فوضعته فى أحد مزاود البقر(١)، لتحميه من البرد، فى انتظار مقدم يوسف.

---

(١) فى هذا المكان.. أقيمت كنيسة المهد ببيت لحم، أقيمت هذه الكنيسة فى عهد الإمبراطور الرومانى قسطنطين الذى اعترف بالديانة المسيحية ديانة رسمية لبلاده، كان ذلك سنة ٣١٣م.

عـاد يوسـف، فأخبرتـه مـريم بمـا كـان مـن أمرهـا، سـعيدة وهـى تشـير إلـى النخلـة التـى كانـت جـذعًا جافًـا.. أينعـت وأثمـرت بفضـل الله، فحمـد الاثنـين فضـل الله عليهما ومشيئته.

ولنـدع مـريم ويوسـف، ليـذهبا إلـى قومهمـا بعـد ذلـك فـى حـوار سـجله القـرآن الكريم.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

يرتبط التـاريخ الميلادى ببدايـة هذه الأحداث، ومهمـا اختلفت الآراء فـى يوم ميلاد المسيح عيسى، هل هو ٢٥ ديسمبر، أو ٧ ينـاير، فلا شك أن هذه الأحداث وقعت أول السنة الأولى للميلاد سنة ١م، ويعتبر وهذا الحادث تاريخًا يفصل سنوات مـا قبل الميلاد (ق. م)، والسنوات الميلادية فى التاريخ.

**** موقع بيت لحم:**

يقع هذا المكان الذى ولد فيه المسيح فى قرية بيت لحم التى أصبحت بعد ذلك مدينـة كبيرة عـامرة بالآثـار المسيحية، باعتبارهـا مولـد المسيح عليه السلام. هذا الرسـول الـذى يـدين بديانته كثير من سكان العالم.

تقع بيت لحم فى أرض الخليل فـى جنـوب فلسطين، فـى منطقـة سفوح القدس، تبعد عن الخليل نحو ١٥كم، وعن بيت المقدس بحوالى ٨كم.

تدخل هذه المنطقة ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط المعروف بحرارتـه صيفًا؛ واعتداله وأمطاره شتاءً.

تقع بيت لحم فى منطقة تكثر بها أشجار التين والزيتون والموالح.



صورة لمدينة بيت لحم حيث ولد المسيح عيسى عليه السلام وبها كنيسة المهد

أنطاكيا

وأصحاب القرية

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

[يس: ١٣ - ٢١].

**** تمهيد:**

لم يحدد القرآن الكريم فى هذه الآيات أسماء الشخصيات الثلاث، ولا اسم القرية، ولا موعد حدوث هذه القصة. على أساس أن الهدف من القصة هو الموعظة، ولكن بعض الرواة ومنهم الثعلبى حددوا مكان القرية واسم الشخصيات، ونحن بدورنا سنحدد من خلال الأحداث زمن هذه القصة، لأن تحديد هذه العناصر تجعل القارئ يتفاعل مع الأحداث كما لو كان حاضرًا لها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعث عيسى عليه السلام رسولين، لعلهما كانا من حوارييه إلى تلك القرية التى نحن بصدد الحديث عنها، لدعوة أهلها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة حاكمها (١)، كان ذلك تطهيرًا للنفس البشرية وإعلاء للإنسانية عن عبادة البشر.

---

(١) قال بعضهم كان اسمه أنطيوخوس، أو أنطيخيس من ملوك الروم.

فى بعض الروايات، كان الرسولان هما: فاروض ومالوس [١]، وفى رواية أخرى أنهما يوحنا وبولس [٢].

ذهب الرسولان إلى القرية وراحا يجوبان شوارعها، واستطاعا أن يقوما بعدة معجزات، أهمها شفاء إحدى المقعدات وإبراء المرضى، وكانا يدعوان الناس إلى عبادة الله، ونبذ عبادة الحاكم؛ لأنه بشر، ليس له قدرة، وما يملك من سلطان وجاه إلى زوال، فآمن بعض الناس بالرسولين.

لكن رجال الحاكم أخبروه بما يفعله الرجلان، فأمر بالقبض عليهما وتعذيبهما وإيداعهما السجن، جزاء ما يفعلان.

وعلم عيسى ابن مريم بما وقع لرسوليه، فبعث برسول ثالث اسمه شمعون [٣].

استطاع شمعون أن يتقرب إلى حاكم المدينة الذى أخبره بأمر الرجلين الغريبين عن المدينة، وأنه سجنهما؛ لأنهما يدعيان أنهما يبرئان المرضى؛ ويحييان الموتى.

ولأن شمعون كان يعرف مقدرة زميليه على ذلك، فطلب من حاكم المدينة أن يستدعيهما؛ ليكشف حقيقتهما، وأن يدعو كثيرًا من أفراد الشعب، ليعرفوا الحقيقة.

ولأن حاكم المدينة كان واثقًا أن أمر السجينين سينكشف، وتعود مكانته إلى قلوب رعيته.

لذلك أمر بإحضار الرسولين من السجن، وجمع كثيرًا من أفراد الشعب؛ ليشهدوا كذبهما.

---

(١) الثعلبى فى كتابه عرائس المجالس ص٤٧٢.

(٢) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٢٢١، وهما من حواريى المسيح عيسى.

(٣) قال بعض الرواة: كان اسمه شمعون الذى كان يعرف باسم سمعان الصفار، وعرف باسم القديس بطرس (١٠ - ٦٧م) وهو ابن يونا وأخو الحوارى أندراوس، كان يعمل صيادًا فى بحيرة طبرية، أمره المسيح بالتبشير، وجعله رئيس الرسل.. أقام فى أنطاكيا، ثم نزح إلى روما حيث استشهد مصلوبًا.. له كنيسة باسمه فى روما على جبل الفاتيكان، أقامها الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٦٦م. (المنجد ص٧٧).

ودارت مناقشة ومحاورة بين الرسولين وحاكم المدينة، حاول خلالها أن يثبت كذب الرسولين وما يدعيانه من قدرة على إحياء الموتى بأمر ربهما.

لذلك أمر رجاله أن يحضروا شابًا مات حديثًا.

قرأ الرسولان بعض الأدعية على الميت، فأحياه الله، وقام واقفًا، وأعلن للناس أن هذين الرجلين صادقان فيما يدعوان إليه، وأنهما على حق، وأن على الشعب أن يؤمن بدعوتهما.

هنالك.. انضم الرسول الثالث إلى صاحبيه، وقالوا للناس:

﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

ومع التكبر والكفر قال الملك ورجاله:

﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

قال الرسل الثلاثة:

﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ [يس: ١٦ - ١٧].

حاول بعض رجال حاكم المدينة وحاشيته أن يصرفوا الناس عن الرسل الثلاثة، فقالوا لهم:

﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ [يس: ١٨].

بثقة المؤمنين، قال الرسل الثلاثة:

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٩].

كاد الموقف ينتهي عند هذا الحد، لكن الناس فوجئوا بدخول رجل عجوز، طالت لحيته، وانحنى ظهره، وكان يتوكأ على عصا تهتز تحت يده.. عرفه بعضهم، قال الرجل للناس:

- يا قوم.. أنا حبيب النجار[١]بعضكم يعرفنى، دعوت ذات يوم حاكمكم إلى الحق، فطردنى، فابتعدت عنه، أعبد الله الواحد، لا أشرك به عبدًا، ولو كان حاكمًا.. يا قوم.. آمنوا بهؤلاء الرسل، فهم يدعونكم إلى الحق، عبادة الله الواحد، والحب والسلام والأمن.

حدث بين أفراد الشعب صخب وضجيج بين مصدق ومكذب، فقد كان بعض الحاضرين يعرفون حبيب النجار، لذلك أسرع إلى الشيخ بعض رجال الملك، وأمسكوا به وخرقوا حلقه، وشدوه بحبال زحفًا إلى سور المدينة، وتركوه يصارع الموت، وهو ينادى:

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧ ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

وشاء الله أن يعاقب حاكم المدينة ومن رفض الإيمان من أهلها بالرسل، فسمعوا صيحة مدوية أصَمَّت آذانهم، وسقطت أجسادهم، ولفظوا آخر أنفاسهم.

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ۝٢٩ ﴾ [يس: ٢٩].

**** زمن هذه الأحداث :**

واضح من خلال هذه الأحداث أنها كانت فى زمن حياة المسيح عيسى بعد أن بعثه الله رسولاً إلى بنى إسرائيل، ليدعوهم إلى عبادة الله.

معروف أن بعثة عيسى حين كان عمره ثلاثين عامًا أى سنة ٣٠م.

ومعروف أن عيسى رفع إلى السماء، وكان عمره ٣٣ سنة أى سنة ٣٣م.

∴ هذه الأحداث وقعت خلال هذه الفترة، يمكن أن نقول أنها كانت سنة (٣٢م - ٣٥م). والله أعلم.

---

(١) هو حبيب النجار، كان يعمل نجارًا فى هذه المدينة، آمن بدعوة الله، وابتعد عن قومه، خوفًا من بطش الحاكم ورجاله.. هذا الرجل يعرف عند أهل الكتاب باسم أغابيوس.. جاء ذكره فى سفر أعمال الرسل. الإصحاح الحادى عشر، قبره معروف فى جبل سليوس بتركيا. (المنجد ص١٥٠).

**** موقــع المكــان:**

أجمع الرواة على أن هذه القرية كان اسمها أنطاكية أو أنطاكيا، واختلفوا فى الدولة التى تقع فيها، هل هى تركيا الحالية أم هى سوريا؟

ومعروف أن كلتيهما كانتا تقعان فى الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على آسيا الصغرى(تركيا حاليًا) وبلاد الأناضول وبلاد الشام(سوريا).

والذى أراه أنها أنطاكيا (بالألف، وليست بالتاء) والتى كانت تقع فى تركيا، وليست أنطاكية التى تقع فى سوريا. يؤكد ذلك ما يأتى:

١) خريطة الكتاب المقدس ص٤٢٣، البحر المتوسط فى القرن الأول بعد الميلاد.

٢) ما جاء فى موسوعة المنجد أن قبر الشيخ حبيب النجار يقع فى جبل سيليوس فى تركيا.

٣) ما جاء فى موسوعة المنجد عن القديس بطرس الذى هو سمعان أو شمعون ص٧٧ من أنه زار أنطاكيا (ولم يقل أنطاكية).

٤) فى رواية صاحب أطلس تاريخ الأنبياء والرسل أن هذه المدينة تقع فى تركيا.

فإذا أردنا أن نحدد موقع هذه القرية، فهى تكاد تتوسط تركيا، وتقع جنوب أنقرة وشرق أزمير.

* * * * *

الرَّقِيم

وقصة أصحاب الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ٩ - ١٢].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

اعتنق بعض أهل هذه المدينة الدعوة المسيحية التى تدعو إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان والحكام الرومان، آمن هؤلاء بربهم، ورفضوا عبادة حاكم مدينتهم، والسجود لـه.

وخوفًا من أن ينكشف أمرهم، ويقبض عليهم رجال الوالى، تركوا مدينتهم؛ ليهربوا إلى مكان آخر يكون فيه أمنهم، وهم يعبدون ربهم.

كان عددهم ستة نفر.. ساروا فى طريقهم، حتى وصلوا إلى كوخ، ولم يمض عليهم فى الكوخ غير قليل، حتى أقبل أحد الرعاة [١] إليهم ومعه كلبه.

علم الراعى بقصة الفتية، وكان هو الآخر قد آمن بالله رب المسيح عيسى، فتعاهد معهم أن يشاركهم رحلتهم وعبادة ربهم.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

---

(١) قال ابن فتحوية بإسناده إلى أبى حنيفة: إن أسماءهم: تمليخا، مكسلمينا، مرطليوس، بينوس، ساوتوس، دانوس.

بدأ الفتية ومعهم الراعى وكلبه هجرتهم بعيدًا عن المدينة، فساروا طويلاً حتى أرهقهم التعب، فوجدوا كهفًا فى جبل، عنده بئر، فتناولوا طعامًا معهم، وشربوا من ماء البئر. ثم ناموا.

نام الستة نفر والراعى والكلب، وقد بسط ذراعيه.

أماتهم الله.. نزع عنهم الوعى لما يدور حولهم، كانوا أشبه بالموتى لمن ينظر إليهم، يتقلبون على ظهورهم، وإن بدت عيونهم مفتحة، وصدورهم تتنفس.. طالت شعورهم وأظافرهم.

إنها قدرة الله ومشيئته.

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ ﴾ [الكهف: ١٨].

بعد حين.. بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة عام وازدادوا تسعًا.. استيقظوا من ثباتهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فاندهشوا مما رأوا عليه أنفسهم من استطالة شعورهم، وقد علق التراب بأجسادهم.. سأل أحدهم:

- كم لبثتم؟

قال بعضهم:

- لبثنا يومًا أو بعض يوم.

قال آخرون:

- ربكم أعلم بما لبثتم.

كان الجوع قد أصابهم، فبعثوا تمليخا بما بقى معهم من نقود الأمس؛ ليشترى لهم طعامًا.

مضى تمليخا فى طريقه، فراعه شوارعها ودورها، وقد تغيرت معالمها، حتى إذا وصل إلى حانوت يبيع طعامًا، قدم إلى صاحبه بعض نقوده، وقال له:

- أعطنى بهذا خبزًا.

أمسك بائع الخبز بقطعة النقود، وقلبها بين يديه فى دهشة، وقال لـه:

- يا هذا.. من أين جئت بهذه النقود؟ لعلك عثرت على كنز.

وتجمع كثير من الناس حول تمليخا، وقد غلبت عليهم دهشتهم، إن قطعة النقود ترجع إلى أكثر من ثلاثمائة عام، فمن أين جاء بها هذا الرجل؟

كان موقفًا صعبًا على تمليخا، وهو يرى الدهشة على وجوه الناس من حولـه.

فكر تمليخا أن يقول حقيقة قصته وأصحابه، ولكنه خشى مغبة ما سيحدث لـه ولهم.

ظن بعض القوم أن تمليخا جاسوس، فساقوه إلى الحاكم، لينظر فيه رأيه.

ما كاد تمليخا يصل إلى قصر حاكم المدينة، حتى رأى صورة لم يعهدها من قبل، تغير القصر.. الحاكم غير الذى كان يعرفه، صورة جديدة على تمليخا.

وعلم تمليخا من خلال حديث الناس أن النقود التى معه مضى عليها أكثر من ثلاثمائة عام.

يا لله!! لقد نام هو وزملاؤه ثلاثمائة عام، تغير كل شيء فى المدينة.. الناس والدور والحاكم!!

وبين دهشة الحاضرين وحاكم المدينة، حكى تمليخا قصته.

عند ذلك عادت إلى أذهان الناس قصة وقعت أحداثها قديمًا، كانوا يقرؤون عنها فى كتبهم.

احتفى حاكم المدينة بتمليخا، وقدَّره، وأخبره بأنه يعيش اليوم بعد أن أصبحت دعوة المسيح ديانة رسمية لكل أهل الإمبراطورية الرومانية.

صحب الحاكم وحاشيته تمليخا للقاء زملائه الذين ما كادوا يرونهم من بعيد، حتى أدركوا أن أمرهم قد انكشف، ولكنهم اطمأنوا إلى الابتسامة التى كانت تعلو وجه تمليخا.

والتقى حاكم المدينة بأصحاب تمليخا، وصافحهم، وأثنى على موقفهم، لكنهم سرعان ما تساقطوا ومعهم تمليخا موتى.. كأن الله شاء لهم أن يستيقظوا من سباتهم؛ ليعلم الناس قدرة الله.

هنالك أمر حاكم المدينة ببناء مسجد، ثم دفنهم فيه جميعًا، وثبَّت على المسجد لوحة بأسمائهم وأنسابهم وقصتهم عرفت بالرقيم، تحكى للناس قصتهم العجيبة.

** زمن هذه الأحداث:

حاول بعض المؤرخين أن يربطوا بين عصر الإمبراطور الرومانى دقلديانوس[١] الذى عرف باضطهاده للمسيحية، وعصر الإمبراطور قسطنطين[٢] الذى عرف عصره بعصر التسامح بعد أن اعتنق الديانة المسيحية، فزعم هؤلاء أن أصحاب الكهف كانوا يعيشون فى عصر دقلديانوس، واستيقظوا فى عصر قسطنطين، وهذا خطأ.. ذلك لأنه بين عصر دقلديانيوس وقسطنطين حوالى عشرين عامًا فقط، ومعروف أن أهل الكهف ناموا ثلاثمائة عام، وليس عشرين عامًا.

وبعض الآراء الحديثة مثل المؤرخ محمد تيسير ظبيان فى كتابه أهل الكهف، وتشيع لرأيه صاحب أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٢٢٣. أصحاب هذا الرأى قالوا: إن العصر الذى كان يعيش فيه الفتية كان عصر الإمبراطور الرومانى تراجان [٣] (٩٨ - ١١٧ م).

---

(١) دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) عرف بعدائه للمسيحية، قتل وعذب المسيحيين، وهدم كنائسهم، وصادر أملاكهم، من ضحاياه: الشهيد مارمينا العجائبى، والشهيدة دميانة.

(٢) قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) أعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، وأنشأ هو وأمه هيلانة عددًاكبيرًا من الكنائس من أشهرها كنيسة القيامة.

(٣) تراجان دفعته حياته العسكرية، وتحمل الشدائد والمكاره إلى تعذيب المسيحيين، وإنكاره عبادتهم لله، فكان رجاله يسوقونهم إلى المحاكمة، والتحقيق معهم، وكان هؤلاء المسيحيون يستيقظون فى الفجر لعبادة الله، فكان رجاله يقبضون عليهم، وأصدر مرسومًا فى الإمبراطورية يحذر الناس من المسيحية: (فى عهده أعيد حفر القناة التى كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر عند السويس فى مصر).

وكان هذا العصر معروفًا بالعداوة الشديدة للمسيحية.

أما العصر الذى استيقظ فيه الفتية بعد ثلاثمائة عام، فهو عصر الإمبراطور ثيودسيوس الثانى [١] (٤٠٨ - ٤٥٠م).

ومن المحتمل على هذا الأساس أن تكون فترة نوم أهل الكهف من سنة ١٠٠ - سنة ٤٠٠م.

مع ملاحظة أن ٣٠٠ سنة ميلادية تساوى ٣٠٩ سنة هجرية.

**** موقع مكان هذه الأحداث :**

اختلف العلماء والرواة فى تحديد المدينة التى وقعت فيها قصة أصحاب الكهف والرقيم.

قال بعضهم: إنها مدينة أو قرية كانت بالقرب من عَمَّان (بالمملكة الأردنية الهاشمية).

وقال آخرون: إنهم كانوا يعيشون بالقرب من دمشق.

دون أن يحدد هؤلاء وهؤلاء اسم المدينة وموقعها.

لكن بعض الرواة ومنهم الثعلبى [٢] فى روايته عن علىّ بن أبى طالب. قالوا: إنها أفسس، إحدى مدن رومية.

وقد شاء الله أن يسوقنى للبحث عن مكان أفسس، وأن أعثر على خريطتين قديمتين، إحداهما فى الكتاب المقدس ص٤٢٣ترجع إلى العصر الأول الميلادى والثانية خريطة فى موسوعة المنجد ص٢٧٢ حددت الخريطتان موقع أفسس.

---

(١) ثيودسيوس الثانى (٤١٢ - ٤٢٠م) هو ابن أركانيوس، تولى الحكم وعمره سبعة سنوات فى وصاية أخته. اهتم بنشر الدعوة المسيحية، وهو الذى عقد مجمع أفسس. (موسوعة تاريخ مصر. أحمد حسين).

(٢) كتاب عرائس المجالس للثعلبى ص٤٨٥.

ذكر المنجد ص ٢٨ فى موسوعته أن أفسس مدينة قديمة فى بلاد إيونيا، ليس فيها اليوم إلا الأنقاض.. كان فيها معبد قديم لديانا. عقد فيها المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١م [١].

كما جاء فى نفس المرجع أن إيونيا هذه هى المنطقة الساحلية فى آسيا الصغرى الغربية.

نخرج من هذا أن أفسس كما حددتها خريطة المنجد والكتاب المقدس.. تقع فى غرب تركيا الحالية، على ساحل بحر إيجه.. أى أنها تقع غرب أزمير، وغرب أنقرة.

* * * * *

---

(١) المنجد ص٥٥.

نَجْـــرَان

وقصة أصحاب الأخدود

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠].

** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:

كما دخلت اليهودية مملكة سبأ اليمنية فى عهد ملكتهم بلقيس (عصر نبى الله سليمان) دخلت المسيحية مملكة حمير [(١)] اليمنية، كان ذلك فى عصر الإمبراطور الرومانى قسطنطين الثانى (٢٣٧ - ٢٣٦١) على يد الراهب ثيوقيلوس الذى شيد الكنائس والأديرة فى ظفار وعدن [(٢)].

لذلك دبَّ الصراع بين اليهود والنصارى الذين تكاثروا فى عهد ذى نواس[(٣)]. وأصبح هؤلاء المسيحيون يشكلون قوة معارضة ومناهضة لليهودية خصوصًا فى مدينة نجران.

ولأن ذا نواس كان يهوديًا متعصبًا لدينه، لذلك أصر على تأديب المسيحيين، وكسر شوكتهم، والقضاء عليهم، بعد أن جهروا بدعوتهم، وبنو لهم عدة كنائس وأديرة؛ لعبادة رب عيسى.

---

(١) مملكة حمير: بدأ عصرها سنة ٦١٥م بعد سقوط دولتى معين وسبأ فى اليمن.

(٢) المنجد ص١٦٧، وموسوعة تاريخ مصر ص٣١٨.

(٣) ذو نواس: اسمه يوسف ذو نواس بن شرحبيل (الثعلبى ص٥١٥) وهو من تتابعة حمير.

أمر ذو نواس رجاله بحفر خندق كبير، طويل.. عميق فى وسط نجران، ملؤوه بالحطب والأخشاب، ثم أشعلوا فيه النار، نار شديدة أوارها، يضطرم لهيبها، تعلن عن حقد ذى نواس على المسيحية.

مضى رجال ذى نواس فى شوارع مدينة نجران وضواحيها، يقبضون على المسيحيين، ويسوقونهم مكبَّلين بالقيود والأغلال إلى الخندق، جعلوهم صفوفًا على شفير الخندق المشتعل، فمن ترك مسيحيته وعاد إلى اليهودية.. يرجع سالما، ومن أصر على الاستمرار فى مسيحيته، ورفض اليهودية، ألقوا به فى النار المشتعلة، غير مبالين بالنحيب والعويل والصرخات التى تشق الفضاء، تصاحبها لعنات المظلومين والثكالى على ذى نواس ورجاله الذين يتفننون فى تعذيب المسيحيين.

فى تيه واعتزاز.. جلس ذو نواس ورجاله على مقدمة الخندق، سعداء بما فعلوا بالمسيحيين.

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ [البروج: ٧].

حتى الأطفال على صدور أمهاتهم، لم يرحموا طفولتهم.

هذه المرأة كانت تحمل على صدرها رضيعها، ألقوا بزوجها وأولادها فى الخندق المشتعل، فاحترقوا.

على مقربة من النار: كادت المرأة تعود عن دينها؛ لتنقذ رضيعها، ولكنها سمعت رضيعها يناديها:

- ابق على دينك يا أماه، فأنت على الحق.

وسرعان ما ألقى رجال ذى القرنين بالطفل وأمه فى الأتون المشتعل، لم يرحموا دموع الأم الثكلى على أولادها وزوجها، ولا براءة الطفل الرضيع.

صورة من صور القسوة أعادت إلى أذهان الناس ما كان يفعله رجال فرعون فى بنى إسرائيل.

واضطرمت النار فى الأخدود اشتعالاً، وقودها المسيحيون الأبرياء.

أكثر من مائتى ألف مسيحى التهمتهم النار؛ لتكبر سعادة ذى نواس على وجهه.

كاد ذو نواس ورجاله يقضون على أهل نجران، ولكن النصارى هبُّوا إلى إمبراطور روما حامى المسيحية.. ناشدوه أن ينقذهم مما يصيبهم، وسرعان ما استنجد الإمبراطور الرومانى بحاكم مملكة أكسيوم الحبشية [1]كان مسيحيًا، فبعث إلى نجران بجيش كبير، ما كاد ذو نواس يراه، حتى أسرع بالفرار، لكن جميع الطرق سدت أمامه، فألقى بنفسه فى البحر لتنتهى به الحياة، وتكون نهايته بداية لعصر آمن فى نجران.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠].

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من خلال هذه الأحداث أنها كانت فى زمن ذى نواس، الذى كان يحكم حمير اليمنية سنة ٥٢٣م.

وهنا يجب أن نشير إلى أن ما حدث من ذى نواس، كان فرصة لدخول الأحباش اليمن، وما تلا ذلك من أحداث سياسية متتابعة بعد ذلك.

فقد ولى الأحباش أرياط على اليمن، ثم كان النزاع بين أرياط وأبرهة الأشرم، تلك الأحداث التى انتهت بسيطرة أبرهة على اليمن، وما كان بعد ذلك من محاولة أبرهة دخول مكة لهدم الكعبة سنة ٥٧٠م، والتى انتهت بفشله فيما أراد، وكان نصر الله للكعبة.. بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم وإسماعيل.

والتاريخ حين يحكى عن اليمن لا ينسى موقف أحد اليمنيين فى عصر النبوة.

---

(١) لا ينسى التاريخ موقف نجاشى الحبشة، حينما لجأ إليه بعض المسلمين، مهاجرين فرارًا من بطش رجال قريش، نصحهم الرسول بذلك، وقال لهم: إن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وحينما ذهب رسولا قريش يطلبان من النجاشى طرد المسلمين، رفض النجاشى طلب الرسولين وحمى المسلمين، وعندما علم النجاشى بعد ذلك بانتصار المسلمين فى بدر، سعد لانتصارهم على الكفار.

إنه الأسود العنسى الذى اشتهر بقدرته فى السحر.

ادعى الأسود النبوة فى أواخر عهد الرسول، ساعده على ذلك بعد المسافة بين اليمن والمدينة المنورة.

تقدم الأسود إلى نجران وقتل ابن بدهان (١) الذى كان سيرث عرش اليمن وتزوج زوجته، ونشر على اليمن سلطانه، وطرد عمال الرسول فى اليمن.

بعث الرسول إلى عماله فى اليمن ليؤلبوا أهل اليمن على الأسود، ونجح رجال الرسول فيما أرادوا، واستطاعت زوجته التى اغتصبها من ابن بدهان قتله انتقامًا لزوجها.

ووصلت إلى المدينة أنباء القضاء على الأسود فى أوائل خلافة أبى بكر الصديق.

**** موقع مكان هذه الأحداث:**

كما ذكرنا، فإن نجران كانت ميدان هذه الأحداث.

كانت نجران هذه تقع فى شمال حمير اليمنية، وبعد حدوث الثورة اليمنية فى عهد السلال، ونتيجة للاتفاقيات التى عقدت بين المملكة العربية السعودية واليمن أصبحت نجران جزءًا من التراب السعودى.

تشتهر نجران بتربتها الخصبة ومناخها المعتدل لارتفاعها، وقربها من الوديان التى تمتلئ بالمياه فى فصل الصيف، فصل سقوط المطر عليها، مما أعطى لها فرصة لقيام بعض المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة.

* * * * *

---

(١) حياة محمد ص٤٩٦.

أذرعات (درعـــا)

أدنى الأرض

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم: ١ - ٦].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

عندما ظهرت الدعوة الإسلامية، كان العالم تتصارعه قوتان: الفرس فى الشرق الذين كانوا يدينون بالمجوسية [١]، وقوة الرومان فى الشمال والغرب، وهم كتابيون يدينون بدعوة المسيح عيسى عليه السلام.

سنة ٦١٤ أو ٦١٥م أى بعد البعثة المحمدية بخمس سنوات، وقعت حرب ضروس بين القوتين العظيمتين فى العالم: الفرس والرومان، واستطاع الفرس بقيادة خسرو أبرويز أن يحققوا نصرًا مؤزرًا على الرومان فى موقعة أذرعات، واستولى الفرس على دمشق، ودخلوا بيت المقدس (إيليا) واستولوا على الصليب المقدس، وأخذوه معهم إلى عاصمتهم.

وصلت أخبار انتصار الفرس على الروم إلى قريش، فسعدوا بانتصار الوثنيين على أهل الكتاب، آملين أن يكون لهم النصر، وهم وثنيون على المسلمين، وهم أهل كتاب.

ولأن المسلمين كانوا يتعاطفون مع الرومان، فى مواجهة الفرس.. لذلك أعلنوا أن النصر سيكون بعد ذلك للرومان.

---

(١) الديانة المجوسية، كانت تقوم على عبادة الطبيعة، كالشمس والقمر كما عبدوا النار، وبذلك تعددت آلهتهم.

رغم وداعة أبى بكر وهدوئه وحلمه، إلا أن هذا الموقف دفعه إلى أن يتحدى أبىَّ بن خلف أحد زعماء الكفر فى قريش، وراهن معه على عشر نياق، يأخذها أبو بكر إذا انتصر الرومان بعد ذلك على الفرس.

كان الله قد أنزل قولـه تعالى:

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ٢ - ٤].

وقال أبو بكر لأبىِّ بن خلف:

- والله لينصرن الله الروم بعد ذلك، بعد ثلاثة أعوام.

وعلم الرسول بما تراهن عليه أبو بكر مع أبىِّ بن خلف(١)، فقال لأبى بكر:

- زد فى الرهان، وأبعد فى الأجل.

وتتابعت الأيام، والجميع فى انتظار نتيجة الرهان، وهاجر الرسول وأبو بكر والمسلمون إلى المدينة المنورة.

وبعد تسع سنوات سنة ٦٢٤م انتصر الرومان على الفرس، واستعادوا أملاكهم منهم، وتبع الرومان الفرس إلى عاصمتهم المدائن، واستردوا الكنوز التى كان الفرس قد استولوا عليها ومنها الصليب المقدس (٢).

---

(١) أبىُّ بن خلف: أحد أعداء الرسول والإسلام والمسلمين، وكثيرًا ما حاول الاعتداء على الرسول، وأنكر البعث والثواب والعقاب، فيه أنزل الله قولـه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧].

(٢) الصليب المقدس: هو الصليب الخشبى الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه، وكانت الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين قد عثرت عليه، ونظفته وزينته بالذهب، ووضعته فى بيت المقدس، هو الآن موجود فى كنيسة صوفيا بالقسطنطينية (المؤلف).

**** زمن هذه الأحداث:**

من خلال متابعة الأحداث، وانتصار الفرس سنة ٦١٤ - ٦١٥م، ثم هزيمتهم سنة ٦٢٤، يمكن استنتاج زمن هذه الأحداث بعيدًا عن مقدماتها وآثارها بعد ذلك، فلم ينقذ العالم الإسلامى من هذه الحروب بين الفرس والروم إلا بعد انتصار المسلمين عليهما، والسيطرة على أملاك الدولتين قبل أن ينتهى القرن السابع الميلادى.

**** موقــع المكــان:**

اختلف المؤرخون فى المقصود بأدنى الأرض.

قال بعضهم: إنها المنطقة القريبة من البحر الميت، منطقة الغور المنخفضة

والأصح عندى أنها منطقة درعا التى كانت تعرف باسم أذرعات. هى الآن إحدى المدن الهامة فى جنوب الجمهورية السورية، تقع شرق بحيرة طبرية بفلسطين، وقرب نهر اليرموك، وتبعد عن دمشق حوالى ١٠٠كم.

* * * * *

القَرْيَتَـان

اللتان تمنَّى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيمهيما

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١].

**** تمهيـــد :**

القريتان هما:

١) مكة، وعظيمها هو الوليد بن المغيرة.

٢) الطائف، وعظيمها هو عروة بن مسعود الثقفى.

رفض كفار قريش الإيمان بدعوة محمد والقرآن الذى أنزلـه الله عليه، فلم يكن محمد من سادة مكة، ووجهائها وأثريائها، مع أنه عرف بينهم بالصادق الأمين.

كان هؤلاء الكفار يتمنَّون أن ينزل القرآن الكريم على أحد الزعماء المشهورين بالثراء والسيادة فى قومهم؛ وهما الوليد بن المغيرة فى مكة، أوعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف، ومن أجل هذا، أنكروا نزول القرآن الكريم على محمد [١].

**** الوليد بن المغيرة فى مكة [٢] :**

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر من بنى مخزوم، كان العرب يسمونه ريحانة قريش، عرف بثرائه الواسع، فقد كان يمتلك كثيرًا من الأموال والإبل والخيل والعبيد، وكان لـه عدد كبير من الأبناء، كان منهم خالد بن الوليد الذى اشتهر بعد إسلامه بسيف الله المسلول.

من أجل ذلك كان الوليد بن المغيرة من أشد أعداء الإسلام ولرسول الله ﷺ.

---

(١) تفسير الجلالين.

(٢) سبق أن تحدثنا عن مكة (أم القرى) القرية التى كان يعيش فيها الوليد بن المغيرة، وموقعها، وأحداثها فى إحدى قصص هذا الكتاب .

وصفحات التاريخ مليئة بالكثير من المواقف التى عاشها الوليد فى مكة.

ففى سنة٦٠٥م أى قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات على أصح الروايات، استيقظ الناس فى مكة، بعد مساء ليلة ممطرة، وذهبوا إلى الكعبة، فراعهم ما رأوا.

الكعبة، قد تحطمت بعض جدرانها، وتناثرت بعض لبناتها، ومياه الأمطار التى انحدرت إليها.. استباحت حرمة آلهتهم، حتى غدت تلك الآلهة وكأنها تَسْبَح فى بحر ليس له شاطئ.

اختلف القوم فيما يفعلون.. أيقومون بترميم ما تهدم من الكعبة، أم يهدمونها، ويعيدون بناءها؟.

كان الوليد بن المغيرة يتزعم الفريق الذى ينادى بهدم الكعبة، وإعادة بنائها.

كان الخوف يسيطر على القوم من أن يفعلوا، حتى لا تغضب عليهم الآلهة.. ولكن جرأة الوليد وإصراره على موقفه ورأيه، دفعه إلى أن يأخذ فأسًا، وصعد أحد جدران الكعبة، وهدم بعضًا منه بين مخاوف الناس.

فلما كان صباح الغد، لم يصب الوليد بسوء، مما شجع القوم على هدم الكعبة، فقسموا العمل بينهم وهدموها، وخرج الوليد فى جماعة من قريش إلى ميناء الشعبية حيث كانت سفينة تحمل الأخشاب، اشتروها وعادوا بالخشب إلى مكة.

وأعاد القوم بناء الكعبة، ومما يروى أن الرسول ﷺ شارك فى هذا البناء.

والتاريخ يحكى لمحمد موقفه فى هذه المناسبة، حين احتكم الناس إليه فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، بعد أن أتموا بناء الكعبة، فكان حكمه حكمًا حكيمًا عادلاً، منع عن القوم الشجار والخلاف والصراع بينهم.

هذا الموقف من الوليد بن المغيرة، جعله زعيمًا هامًا بين رجال قريش، ورأيه مطاع، ولأنه كان سيدًا فى قومه، فقد كان رجال قريش يأملون أن ينزل عليه القرآن الكريم، ليقوم بدعوة الإسلام بدلاً من محمد اليتيم الفقير، وما كان هؤلاء يدرون أنها

مشيئة الله، لحكمة لا يعلمها إلا هو.

من أجل ذلك.. كان الوليد بن المغيرة من أشد أعداء الإسلام، حاول ورجاله أن يثنوا الرسول عن دعوته التى كلفه الله بها، تارة بالإيذاء والتعرض له، وتارة بالمهانة ومحاولة رشوته بالمال والجاه والسلطان والنساء.

وحاول كفار مكة يتزعمهم الوليد أن يصرفوا الناس عن محمد.. ادعوا أنه كاهن، شاعر مجنون، ولكن الرسول بقى صامدًا فى مواجهة المغيرة وأمثاله.

وفى الوليد بن المغيرة أنزل الله قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥)﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥].

مات الوليد بن المغيرة قبل هجرة الرسول إلى المدينة المنورة.

**** عروة بن مسعود الثقفى [(١)] فى الطائف:**

هو العظيم الثانى الذى تمنى له رجال قريش أن ينزل القرآن عليه..

إنه أحد رجال الطائف، عرف بسداد رأيه، وحكمته، ورجاحة عقله.

تذكر صفحات التاريخ عدة مواقف لعروة ولأهل الطائف.

١) سنة ٦٢٠م السنة العاشرة من البعثة المحمدية.

بعد أن توفيت السيدة خديجة زوج الرسول، وعمه أبو طالب، اشتد إيذاء رجال قريش للرسول، ونالوا منه بعد أن فقد نصيريْه.

لذلك خرج رسول الله إلى الطائف، يلتمس عند ثقيف النصرة والمنعة، ويدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم لم يستمعوا إليه، وأغروا به سفاءهم، يسبونه، يصيحون به، فاتجه

---

(١) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن ثقيف، وهو عم والد المغيرة من شعبة (الإصابة: ج٢ ص٦٣٧).

الرسول إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة، وراح يدعو ربه ويناديه، فتحركت نفسا ابنى ربيعة، وبعثوا إليه مع غلامهما عداس النصرانى بقطف من العنب.

وهكذا رجع الرسول من الطائف بشٍّر منهم.

ترى... هل علم عروة بن مسعود الثقفى بزيارة الرسول للطائف؟

٢) فى صفحة من صفحات التاريخ، يذكرها عن عروة بن مسعود.

حينما جاء الرسول والمسلمون سنة ٦هـ للعمرة والطواف حول الكعبة، رفض رجال قريش أن يسمحوا لهم بدخول مكة، وتأزم الموقف، وتعدَّدت الرسل والمفاوضات بين المسلمين وقريش.

كان رجال قريش يعلمون عن عروة بن مسعود الثقفى حكمته، وقوة حجته، وبراعته كزعيم فى قومه على الحوار، وثباته فى المناقشة والمراوغة.

عرض رجال قريش على عروة بن مسعود أن يكون سفيرًا لهم عند رسول الله، يحاول إقناع المسلمين بالانصراف، وعدم دخول مكة بسلام، دون حرب.

اعتذر عروة فى أول الأمر، فقد كان يدرك صعوبة الموقف، ويعلم عن محمد مكانته وحجته، لكنه فى النهاية وافق قريشاً على ما أرادوا.

ذهب عروة إلى رسول الله، وأمسك بلحيته، وقال له:

- يا محمد.. إن مكة بيضته، وإنه إن يفضها على أهلها المقيمين بها بما جمع من أوشاب الناس، ثم انصرف الأوشاب عنه، كان العار الخالد لقريش عارًا لا يرضاه محمد، وقد تتصل الحرب بينك وبين قريش.

عند ذلك ثار أبو بكر، منكرًا على عروة انصراف الناس عن محمد، واحتد المغيرة بن شعبة وكاد يفتك بعروة.

استطاع رسول الله أن يقنع عروة بأنهم جاءوا للعمرة والطواف، ولا يريدون قتالاً.

بحكمة عروة، أدرك الحقيقة، وعاد إلى قريش، وقال لهم:

- يا معشر قريش.. إنى جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملِكًا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه.

وانتهى الموقف بعقد صلح الحديبية.

٣) من الصفحات التى يذكرها التاريخ للطائف ما حدث سنة ٨هـ عند فتح مكة.. كان حصار حنين ثم اتجه المسلمون إلى الطائف لحصار بنى ثقيف الذين كان لهم دور فى حصار المسلمين فى حنين.

أمر الرسول أصحابه أن يحاصروا الطائف، لا يخرج منها، ولا يدخل إليها أحد من أهلها. أراد الرسول بذلك أن يستسلم رجال ثقيف، ويعلنوا إسلامهم.

لكن رجال ثقيف صمدوا للحصار ورموا المسلمين بالنبال، فقتلوا منهم ١٨ رجلاً وجرح كثيرون، فابتعد المسلمون إلى خارج مدينة الطائف.

وأقام المسلمون عدة أيام دون أن تستسلم ثقيف، ورأى الرسول والمسلمون أن من الحكمة الانصراف، فابتعدوا عن الطائف.

تدل الأحداث التاريخية على أن عروة لم يكن حاضرًا هذا الحصار، ولو كان حاضرًا لأقنع أهله بالإسلام.

لم يكن عروة بن مسعود الثقفى حاضرًا خلال حصار المسلمين فى حنين، ثم لثقيف فى الطائف.. كان وقتها فى اليمن.

فلما عاد عروة، أدرك قوة وحكمة رسول الله حين انصرف عن ثقيف بعد حصارهم، دون قتال.

٤) علم عروة بالجيش الذى جهزه رسول الله لغزوة تبوك، مما يدل على قوة محمد وحكمته، فاقتنع بالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً.

لذلك.. اتجه عروة بن مسعود فى جماعة من قومه إلى المدينة المنورة.. كان ذلك فى عام الوفود؛ ليعلن للرسول إسلامه.

أعلن عروة أنه سيكون داعيًا لقومه للدخول فى الإسلام. حذره الرسول من أن يفعل لما يعلمه من تعصب ثقيف لصنمها اللات، ولكن عروة كان الإيمان قد تملك من قلبه، فأصر على دعوة قومه إلى الإسلام.

وتحققت فراسة الرسول، فما كاد عروة يعلن لقومه إسلامه، حتى أحاطوا به ورموه بالنبال، حتى مات، وهو يهتف:

- كرامة أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إلىّ، فليس لى إلا ما للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله مع رسول الله.

ولما علم الرسول بما حدث لعروة، قال: (مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه) [(١)].

** **موقع مدينة الطائف:**

هى إحدى مدن المملكة العربية السعودية، تقع جنوب مكة المكرمة بحوالى ٧٨كم.

وهى مدينة قديمة معروفة منذ العصر الجاهلى. كانت تعرف باسم (وج) لقربها من وادى وج، حيث تكثر فيها الوديان.

سميت بالطائف لأن حولها سور يطيف (يحيط) بها.

ترتفع عن سطح البحر ١٨٠٠م، ولذلك مناخها أكثر اعتدالاً من بقية أجزاء المملكة العربية السعودية، ومن أجل ذلك كانت مصيفًا هامًا، يقصده كبار رجال الدولة، كان يسكنها العماليق، ثم وفد إليها قبائل هذيل وبنو سعد وبنو ثقيف.

يقترب موقعها من سوق عكاظ الذى كان معروفًا فى الجاهلية.

تربتها خصبة، تسقط عليها بعض الأمطار، ولذلك قامت فيها مزارع العنب والرمان والتين وبعض الحاصلات الزراعية الأخرى.

* * * * *

---

(١) الإصابة ج٢ ص٦٣٨.

المسجد الحرام

بين الأمـــس واليـــوم

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩١].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ ﴾ [الحج: ٢٥].

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح: ٢٧].

**** تمهيـــــد :**

يقصد بالمسجد الحرام [(١)]: الكعبة وما حولها من المطاف والمساحات المجهزة للصلاة، والتوسعات التى دخلت فيها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان، والأزمنة التى وقعت خلالها :**

حين أقام إبراهيم وإسماعيل قواعد الكعبة منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام لم يجعل حولها سورًا، يفصلها عن الدور والخيام التى كانت تحيط بها.

وحينما أحضر عمرو بن لحى الخزاعى صنمًا من بلقاء الشام، كان الناس هناك يعبدونه.. وضعه فى الكعبة، وتبعه الكثير من أهل مكة بأصنامهم، فلما ضاقت الكعبة

---

(١) من فضائل المسجد الحرام، أن الصلاة فيه تعادل مائة ألف صلاة فيما سواه، وأنه حرم آمن لمن يدخله.

بالأصنام، أقاموها حولها فى المسجد الحرام، لذلك حينما جاء أبرهة ملك الحبشة ؛ليهدم الكعبة سنة ٥٧٠ م، كان فى مواجهة الكعبة مباشرة، لا يمنعه سور أو حائط.

أحداث كثيرة عاصرها المسجد الحرام: الصراع بين كفار مكة والمسلمين الذين آمنوا بدعوة محمد، والتى كان من أهم صورها، فترة المقاطعة التى استمرت ثلاث سنوات بين سنتى ٦، ٩ من البعثة المحمدية، حين قاطعت قريش آل بيت أبى طالب، وكتابة صحيفة بذلك علقوها على باب الكعبة.

ثم شاء الله أن يُسَرِّى عن رسوله محمد بعض أحزانه، لوفاة زوجه السيدة خديجة وعمه أبى طالب اللذين كانا لـه درعًا وحماية من كفار مكة، ثم ما لاقاه الرسول من مشاق فى رحلته إلى الطائف.

لذلك أَسْرى به الله من المسجد الحرام [١] هذا الذى نتحدث عنه إلى المسجد الأقصى بفلسطين، كان ذلك ليلة ٢٧رجب من العام العاشر للبعثة المحمدية [٢].

وحين أشرق صباح اليوم التالى.. ونادى رسول الله فى قومه بأن الله أسرى به ليلة البارحة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فصدقه كثير، وأعرض عنه آخرون.

واستدل الرسول على صحة مسراه بتلك القافلة التى مرَّ عليها فى الطريق، وكان أبو بكر أول المُصَدقين بإسراء رسول الله، ومنذ هذا اليوم عُرِفَ بالصديق.

وتتابعت الأحداث على مكة والكعبة والمسجد الحرام.. حتى اضطر الرسول والمسلمون إلى الهجرة من مكة إلى يثرب(المدينة المنورة). واستقر الرسول والمسلمون فى المدينة، وبذر فيها بذور الدعوة الإسلامية التى أتت بظلالها.

لم ينس الرسول والمسلمون ، وهم فى مهجرهم وطنهم الحبيب مكة ولا الكعبة ولا المسجد الحرام.

---

(١) كانت فترة المقاطعة من سنة ٦١٦م إلى ٦١٩م.

(٢) كان الإسراء والمعراج سنة ٦٢١م. (حياة محمد، وطبقات ابن سعد).

من أجل ذلك.. شاء الله أن يطمئن قلب رسوله، حين أوحى إليه أن يتوجه فى صلاته نحو المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى [١].

كان ذلك فى نصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة على أصح الروايات.

وتمضى الأحداث فى المسجد الحرام كما شاءه الله، وتمناها رسوله.

كان قد مضى على المسلمين وهم فى مهجرهم ست سنوات، طال فيها الحنين إلى وطنهم مكة، والبيت العتيق والمسجد الحرام، فتهيئوا للخروج للعمرة والحج.

بضعة آلاف من المسلمين كان الأمل يحدوهم أن يدخلوا المسجد الحرام، تحقيقًا لرؤيا رسول الله كما جاء فى قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

كم سعد المسلمون وهم فى طريقهم إلى مكة، حتى إذا وصلوا هناك، فوجئوا برجال قريش يمنعونهم مما أرادوا!!

لقد كان موقفًا غريبًا لقريش، فزيارة المسجد الحرام حق للناس جميعًا منذ أذَّن إبراهيم عليه السلام للحج، وأهل مكة أحق بالطواف حول الكعبة، والصلاة فى المسجد الحرام.

وانتهى الأمر بعد مفاوضات بصلح عُرِفَ بصلح الحديبية فى ذى القعدة سنة ٦هـ الذى يسمح للمسلمين بالعودة إلى مكة والكعبة فى العام التالى.

فلما كان العام التالى سنة ٧هـ جاء الرسول والمسلمون إلى مكة، ودخلوا المسجد الحرام[٢]، وطافوا حول الكعبة، فيا لسعادتهم فى ذلك اليوم الذى أعاد إليهم ذكريات محببة إلى قلوبهم.

---

(١) كان تحويل القبلة سنة ٦٢٤م. راجع تاريخ الطبرى ج٢ ص١٨.

(٢) عرفت هذه الزيارة بعمرة القضاء وكانت سنة ٦٢٩م.

ومضت أحوال المسلمين فى المدينة من خير إلى خير، ومن نصر إلى نصر، حتى استطاعوا فتح مكة [(١)] ودخلوا المسجد الحرام، وطهروا الكعبة مما كان فيها من أصنام، كان ذلك فى٢٠ رمضان سنة ٨هـ، وهذا العام عرف بعام الفتح، وكان يومًا من أهم الأيام التى سجلها التاريخ فى صفحات الإسلام.

كان فتح مكة وتطهير الكعبة والمسجد الحرام من الأصنام مرحلة هامة فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

فلما كان العام التاسع للهجرة، وكان الرسول مشغولاً بلقاء وفود القبائل من أنحاء شبه الجزيرة العربية الذين جاءوا إلى الرسول يعلنون إسلامهم، بعث الرسول أبا بكر، ليقود الناس فى الحج هذا العام [(٢)]، وفى هذه المناسبة أنزل الله على رسوله عدة آيات قرآنية تحدد علاقة المشركين بالمسجد الحرام [(٣)].

كان منها أن الله ورسوله برىء من المشركين، وأن الرسول ملتزم بما تعاهد عليه مع المشركين طالما أنهم لم ينقضوا عهدهم.

منذ بنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة حتى وفاة الرسول ومن بعده أبو بكر، لم يكن للمسجد الحرام حائط يفصله عن الدور والخيام المحيطة به، وكان الحجاج يدخلون إليه من خلال الشوارع الموجودة بين الدور والخيام.

فلما تولى عمر بن الخطاب ولاية المسلمين سنة ١٧هـ (٦٣٩م)، وكانت الدولة الإسلامية قد اتسعت، ووصل الإسلام توسعة فى الشام وفارس، وزاد عدد الحجاج إلى الكعبة.

لذلك قام عمر بن الخطاب ببناء حائط يفصل بين المسجد الحرام حول الكعبة والدور والخيام المحيطة به، فكان هذا أول تحديد للمسجد الحرام.

---

(١) كان فتح مكة سنة ٦٣٠م.

(٢) كان ذلك سنة ٦٣١م.

(٣) راجع أهم ما جاء من قواعد فى الآيات القرآنية من سورة التوبة ١ - ١٥.

ومن الطبيعى أن عمر بن الخطاب اشترى كثيرًا من الدور، وأضاف مساحتها إلى مساحة المسجد الحرام لتوسعة مساحته، حتى يتسع لأكبر عدد من الزوار والحجاج.

كما قام عثمان بن عفان سنة ٢٦هـ (٦٤٨م) بإضافة مساحة جديدة إلى المسجد الحرام لتتسع مساحته.

ثم قام عبد الله بن الزبير بعد إعادة بناء الكعبة سنة ٦٥هـ (٦٨٥م) بإضافة مساحات أخرى إلى المسجد الحرام لتوسعته.

وتتابعت مرات توسعات المسجد الحرام فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك سنة ٩١هـ (٧٠٩م).

وفى عهد الخلفاء العباسيين: المنصور والمهدى والمعتصم والمنذر ١٣٧هـ - ٣٠٦هـ.

واهتم المماليك فى مصر بتوسعة المسجد الحرام، وكذلك فعل العثمانيون كما حدث فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٨٠هـ وابنه السلطان مراد سنة ٩٨٤هـ

وضاعف السعوديون اهتمامهم بالمسجد الحرام.

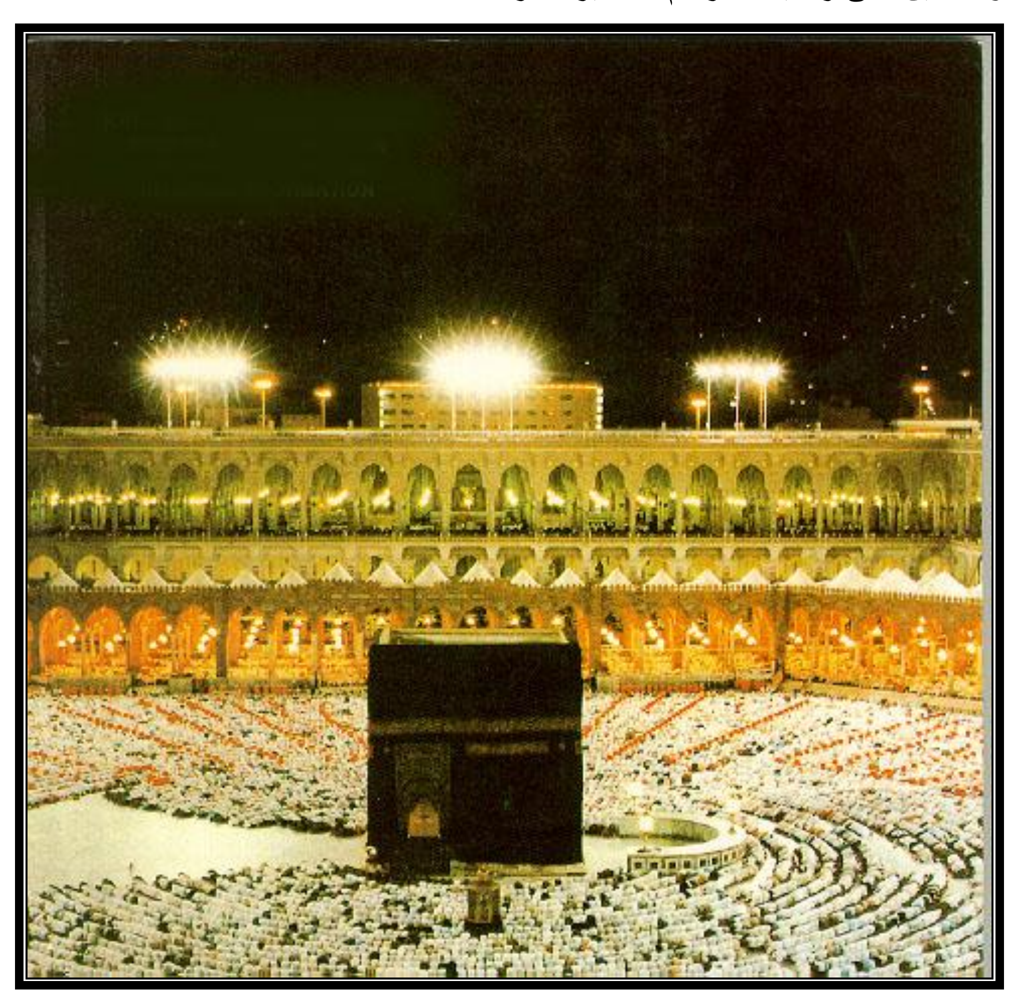
ففى عهد الملك عبد العزيز، تم توسعة المسجد الحرام ، ورصف المسعى وتجديد سقفه كان ذلك سنة ١٣٦٨هـ - سنة ١٣٧٣هـ.

ثم التوسعات التى تمت فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٣٧٥هـ.

ثم كانت التوسعات الكبيرة التى قام بها السعوديون فى العصر الحديث، وكان أهم التوسعات التى تمت فى المسجد الحرام، التوسعات التى قام بها الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين، الذى أمر بتوسيع المسجد والسطح وزيادة الإضاءة، وتبليطه بالرخام، وزيادة عدد أبواب المسجد ومآذنه حتى أصبح يتسع لأكثر من مليون مصل.

وما زال السعوديون يهتمون بمزيد من التوسعات للمسجد الحرام لمواجهة زيادة عدد الحجيج.

وهكذا.. وصل المسجد الحرام إلى صورة من صور فن الهندسة والعمارة بفضل الله والقائمين على رعايته. جزاهم الله خير الجزاء.



صورة للمسجد الحرام

المسجد الأقصى
الذى بارك الله حولــه

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

**** تمهيــد :**

يقصد بالمسجد الأقصى بالقدس فى فلسطين ما هو داخل السور الكبير الذى لـه عدة أبـواب، والـذى يقـع بداخلـه المسـجد الأقصـى ومسـجد قبـة الصـخرة ومـا حولهمـا مـن المساحات تقدر بحوالى ١٢٥٥٠٠ م٢.

فى حديث لرسول الله ﷺ أنه قال: ((لا تُشَد الرحـال إلا إلـى ثلاثـة مسـاجد: المسجد الحرام، ومسجدى، والمسجد الأقصى)) [(١)].

مع ملاحظة أن المسجد الأقصى سمى بهذا الاسم، لأنـه يقـع فـى أقصـى مكـان كانـت تصل إليه قوافل تجارة قريش بالشام.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان وأزمانها :**

يقع المسجد الحرام هذا الذى نحن بصدد الحديث عنه فى مدينة القدس(بيت المقدس) هذه المدينة التى يرجع تاريخها إلى ما يقرب من خمسة آلاف عام، بناها اليبوسيون وهم فرع من العرب، وجعلوها عاصمة لهم ، سموها (يبوس) [(٢)].

---

(١) رواه النسائى.

(٢) يبوس: أنشئت فى عهد اليبوسيين، فلما كان عصر أحد ملوكها واسمه سالم سميت باسم أور سالم، ثم حرفت بعد ذلك فى عهد سليمان عليه السلام إلـى أورشـليم. فـى عهد الرومـان سموها إيليـا كبتولينـا، ثـم إيليا.. وفى عهد الإسلام سميت باسم القدس أو بيت المقدس.

التقى إبراهيم مع ملك يبوس فى هذا الوقت.. واسمه ملكي صادق [١]، وكان رجلاً مباركًا يعرف الله، فبارك إبراهيم، ووافق على أن يعيش هو وأهله فى هذه المنطقة بعد هروبهم من أرض الكلدانيين.

ومضت الأيام بإبراهيم عليه السلام حينًا من الدهر، خلالها ذهب إلى مصر، لنشر دعوة التوحيد، وأهداه ملكها جارية اسمها هاجر، تزوجها إبراهيم، وأنجب منها إسماعيل، ثم كانت مشيئة الله أن تعيش هاجر وابنها إسماعيل فى مكة، وهناك بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة المشرفة.

ثم أنجب إبراهيم ابنه إسحاق من زوجه سارة، لتمضى الحياة بهم كما شاءها الله.

ولأن إبراهيم بنى بيتًا لله فى مكة هو الكعبة، لذلك كان عليه أن يبنى مسجدًا فى يبوس، هو ما عرف بعد ذلك باسم المسجد الأقصى.

ومعروف أن هذا المسجد بنى بعد بناء الكعبة بأربعين عامًا، يؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ الذى جاء فى الصحيحين: أن أبا ذر الغفارى سأل رسول الله: يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال الرسول ﷺ: ((المسجد الحرام ،ثم المسجد الأقصى "سأل أبو ذر وكم بينهما؟ فقال الرسول: ((أربعون سنة)).

وقد أثبتنا من قبل أن بناء المسجد الحرام الذى أقام قواعده إبراهيم عليه السلام كان سنة ١٨٩٠ق. م.

∴ كان بناء المسجد الأقصى حوالى ١٨٥٠ق. م [٢].

وقد حاول اليهود فى كتابهم العهد القديم فى الإصحاح رقم ٢٨ من سفر التكوين أن يثبتوا أن المسجد الأقصى بنى فى عهد يعقوب.

وملخص ما جاء فى هذا السفر أن نزاعًا وقع بين يعقوب وأخيه عيسو (العيص) اضطر يعقوب إلى ترك أرض الكنعانيين ، والهجرة إلى أرض حاران عند خاله لابان.

---

(١) كان حكم ملكي صادق سنة ٢٠٠٠ق. م. راجع الإصحاح ١٤ تكوين فقرات ١٧ - ٢١.
(٢) معروف أن إبراهيم عليه السلام كانت فترة حياته من سنة ١٩٩٧ق. م إلى سنة ١٨٢٢ق. م أى أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى تم بناؤهما فى حياته.(أطلس تاريخ الأنبياء والرسل).

فلما كان فى الطريق: أَمْسَى الليل، فنام يعقوب فى مكان ما، فرأى سلما ، رأسها فى السماء، وملائكة يصعدون وينزلون عليها، فأدرك أن هنا يكون الرب، فنذر لئن عاد إلى هذا المكان أن يبنى بيتًا للرب، وعلَّمَ المكان بحجر عليه دهن، فلما عاد يعقوب من رحلته، بنى هذا البيت.

سكت الرواة، وكذلك العهد القديم عن الحديث عن هذا البيت، لكن الذى لا شك فيه أن هذه المنطقة كانت معمورة بالسكان.

فلما كان عصر نبى الله داود ﷺ، فكر فى بناء بيت للرب يكون مركزًا للعبادة، ولكن الله طلب منه ألا يفعل ، وأن يترك هذا لابنه سليمان (١).

بنى سليمان هيكلاً للرب، لا شك أنه بناه فى أرض كنعان(فلسطين) فى مكان غير مكان المسجد الذى بناه إبراهيم، فما كان سليمان ليهدم بيتًا بناه جده.

كان هيكل سليمان كما وصفه الإصحاح السادس من سفر الملوك الأول طوله ستون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا.

معروف أنه لما مات سليمان ﷺ، انقسمت دولته إلى قسمين: دولة الشمال (إسرائيل) وعاصمتها شكيم (نابلس)، ودولة فى الجنوب (يهوذا) وعاصمتها أورشليم (القدس).

أى أن حكم داود وسليمان لهذه المنطقة استمر من سنة ١٠١٠ق. م بداية حكم داود إلى سنة ٩٣١ ق. م نهاية حكم سليمان، وهى مدة محدودة بالنسبة لفترة حكم العرب اليبوسيين ومن بعدهم العرب المسلمون كما سياتى بعد ذلك.

وتعرضت دولة يهوذا فى الجنوب لهجمات نبوخذ نصر البابلى سنة ٥٨٦ق. م، ودمَّر أورشليم وأحرق هيكل سليمان، بذلك ضاعت معالم هيكل سليمان ومكانه.

---

(١) عاش سليمان ﷺ سنة ٥٨٥ق. م - ٩٣٠ ق. م.(أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥٤).

صحيح أن الفرس حينما استولوا على فلسطين بعد انتصارهم على البابليين أطلقوا سراح اليهود، وبنوا لهم هيكلاً.

لكننا لا ندرى، هل كان هذا الهيكل مكان هيكل سليمان أم فى مكان آخر؟

فلما استولى الرومان على فلسطين سنة ٦٣ق. م، بنى هيرودس أحد ولاة فلسطين من قبل الرومان هيكلاً سنة ٢٠ق. م، ولكنه لم يكن للعبادة، ولكنه استخدم لأغراض أخرى كالرياضة والاحتفالات، وهو الهيكل الذى تنبأ المسيح لتدميره.

ولا ننسى أن الرومان حينما اعتنقوا الدعوة المسيحية، هدموا كثيرًا من الأماكن، وبنوا بدلاً منها كثيرًا من الكنائس.

نريد أن نخرج من كل هذا بحقيقة هامة، هى أن هيكل سليمان الذى يبحث اليهود عنه قد ضاعت معالمه، خلال هذه الأحداث الطويلة، وأن المسجد الأقصى ليس فى مكان هيكل سليمان كما يدعى اليهود.

أما نحن المسلمين، كيف عرفنا مكان المسجد الأقصى الذى بناه إبراهيمعليه السلام بعد الكعبة بأربعين عامًا، فذلك بالصخرة التى ربط فيها رسول الله البراق ليلة مسراه، حين كانت رحلة معراجه إلى السموات العلا.

من هنا بدأت علاقة المسلمين بالمسجد الأقصى، وبالصخرة المباركة.

وإذا كان الله قد أمر رسوله بأن يتوجه فى صلاته نحو المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى، فقد كان ذلك لمشيئة شاءها الله أن يطمئن قلوب المسلمين للهفتهم إلى موطنهم مكة، وأنهم سيفتحون مكة ويدخلون الكعبة.

كما فتح المسلمون بلادًا كثيرة، فتحوا فلسطين سنة ١٥هـ (٦٣٦م) لتبدأ مرحلة جديدة فى العلاقة مع المسجد الأقصى.

كان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب الذى سافر إلى القدس، وسلَّم قساوسة الكنيسة مفتاح المدينة له، وصلى عمر فى أحد أماكن فلسطين.

ثم قام عمر إلى الصخرة المباركة التى ربط الرسول فيها البراق، ومسح ما كان عليها من تراب، يشاركه كثير من المسلمين؛ ليكون هذا بداية عهد جديد للمسلمين والصخرة المقدسة، وأمر عمر ببناء مسجد عليها، ما تزال بقية هذا المسجد موجودة قرب المحراب.

بنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى سنة ٧٤هـ (٦٩٢م)، واهتم الأمويون بتغطية أرض المسجد بالرخام.

كما اهتم الخلفاء العباسيون بالمسجد الأقصى فى عهد جعفر المنصور.

كذلك اهتم الفاطميون بالمسجد الأقصى كما حدث فى عهد الخليفة الظاهر سنة ٤٢٦هـ.

وإذا كان الصليبيون قد حاولوا ذات يوم السيطرة على بيت المقدس والمسجد الأقصى، فقد وقف فى مواجهتهم البطل صلاح الدين الأيوبى حاكم مصر فى ذلك الوقت.. هزمهم وطردهم.. كان ذلك سنة ٥٨٣هـ (١١٧٨م).

واهتم صلاح الدين الأيوبى بالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وتبعه المماليك، ثم العثمانيون، كل يحاول أن يساهم فى تجديد أو تجميل وصيانة المسجد الأقصى.

وإذا كان الصهاينة فى الوقت الحاضر، قد استولوا على معظم فلسطين، فسيقيض الله للمسلمين من ينقذ المسجد الأقصى من شرورهم، ومحاولة هدمهم للمسجدين (المسجد الأقصى - ومسجد قبة الصخرة).

** موقع المسجدين الأقصى وقبة الصخرة:

يقع المسجد الأقصى فى مدينة القدس جنوب مسجد قبة الصخرة على بعد حوالى ٥٠٠ مترًا منه، وهذه صورة توضح معالم كل منهما.

** المسجد الأقصى:

* طوله من الداخل ٨٠ مترًا، وعرضه ٥٥ مترًا، فتكون مساحته ٤٤٠٠ مترًا مربعًا. انظر الصورة

* لـه ١١ بابًا: واحد منها فى الشرق، وآخر فى الجنوب، واثنان فى الغرب من أشهر هذه الأبواب: باب الفتح، باب التوبة والرحمة، باب الغاربة ويعرف باسم (باب البراق وباب النبى) باب السلسلة.

* يقوم المسجد على ٥٣ عمودًا، ٤٩ سارية.

* بالمسجد (٧) أروقة: ثلاثة منها فى الشرق، وثلاثة فى الغرب، وواحد فى الوسط.

* بالمسجد محرابان: أحدهما يسمى محراب عمر، والآخر يسمى محراب معاوية.

* فى المسجد الأقصى ١٣٧ نافذة، منها (٧) نوافذ فى القبة، والباقى موزعة على الأروقة والجدران. انظر الخريطة شكل (٩)

** **مسجد قبة الصخرة**:

يقع شمال المسجد الأقصى، ويشتهر بقبته المذهبة المعروفة.

بدئ فى بنائه عام ٦٨هـ على يد الخليفة الأموى الخامس عبد الملك بن مروان [١]. انظر الصورة

وتم بناؤه عام ٧٢هـ.

* يعتبر تحفة هندسية عظيمة، أكثر عظمة من كنائس الشام.

* قبته مثمنة الأضلاع، كل ضلع منها طوله ٢٠ مترًا، وارتفاعه ١٢ مترًا، من الأضلاع الثمانية: أربعة منها تواجه الجهات الأصلية الأربع.

* عدد أعمدة المسجد (٤٠) عمودًا.

* للمسجد(٤) أبواب: باب داوود، باب الجنة، باب الأقصى، الباب العربى.

* يتوسط البناء الصخرة المشرفة، وهى ترتفع عن الأرض مترًا ونصف، وطولها ١٧.٥٠ مترًا، وعرضها ١٣.٥ مترًا.

---

(١) المصدر: موسوعة فلسطين، معالم مدينة القدس، إعداد أسامة إسماعيل.

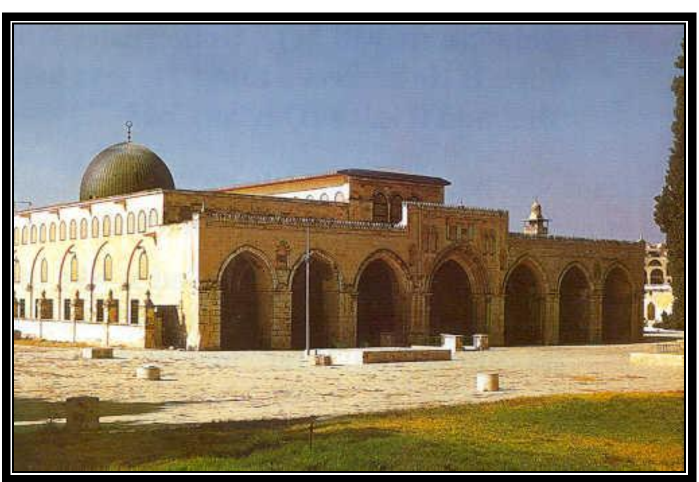
** **حائط البـراق :**

* الذى ربط فيه الرسول دابة البراق، ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

* يطلق اليهود عليه (حائط المبكى)، يذرفون عنده الدموع، ويقولون إنه بقايا أطلال هيكل سليمان.



صورة لمسجد قبة الصخرة



صورة للمسجد الأقصى

غــــار ثــــور

الغار الذى اختبأ فيه الرسول وأبو بكر يوم الهجرة

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

** **تمهيـد:**

عجز سادة قريش عن القضاء على الدعوة الإسلامية، عارضوها، عذبوا من آمنوا بها.. نالوا منهم.. آذوا الرسول، ليصرفوه عن دعوته، لكن جهود قريش لم تثمر شيئًا مما أرادوه، حاولوا رشوة محمد بالمال والجاه والسلطان، ولكنه لم يستجب لهم. ادعوا أنه مجنون، شاعر، ساحر، كاهن.. لكن ادعاءاتهم لم تنطل على الناس الذين لمس الإيمان شغاف قلوبهم.

أخيرًا.. هداهم شيطانهم إلى قتل محمد، للخلاص منه.

اتفقوا على أن يجمعوا من كل قبيلة فتى، ينتظرون محمدًا عند قيامه لصلاة الفجر؛ فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، فلا يستطيع بنو هاشم أن يقتصوا من قاتليه.

أوحى الله إلى رسوله بما انتواه قريش، وأمره أن يهاجر إلى يثرب.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] [الأنفال: ٣٠].

---

(١) سورة الأنفال مدنية إلا الآية ٣٠، فنزلت بمكة قبل الهجرة.

** الأحداث التى وقعت فى غار ثور:

اتجه الرسول إلى صاحبه أبى بكر، وأخبره بأمر الله، فسعد أبو بكر، وقال لـه:

- الصحبة.. الصحبة يا رسول الله.

كان الليل قد أرخى أستاره على مكة، حينما خرج الرسول من داره، بعد أن جعل علىّ بن أبى طالب ينام فى فراشه، ليوهم قريشًا، وألقى حفنة من التراب على رؤوس شباب قريش، واتجه إلى دار أبى بكر، ثم خرجا من خوخة فى دار أبى بكر ومعهما عبد الله بن أريقط [١] دليلاً لهما على الطريق، واتجهوا جميعًا جنوب مكة إلى غار ثور، ليختبئا فيه، حتى تكف قريش عن البحث عنهما، حين يعلمون بهروبهما.

حين وصل الرسول وأبو بكر إلى غار ثور.. سبق أبو بكر رسول الله، ودخل الغار، وراح يتحسس جدرانه، حتى يطمئن على أنه ليس بها حشرات تؤذى رسول الله.

بينما كان أبو بكر يتحسس جدران الغار، وجد جُحراً، فألقمه قدمه، معرضًا نفسه للأذى، فداءً لرسول الله، ثم مزَّق قميصه، وجعله فى الجحر، حتى يأمن ألا تخرج منه حشرة تؤذى الرسول.

بينما كان الرسول وصاحبه فى الغار.. استيقظ فتيان شباب قريش الذين كانوا يستعدون لقتل الرسول.. وأحسوا بالتراب على رؤوسهم، ثم أدركوا الحقيقة، حين علموا أن النائم فى فراش رسول الله ليس محمدًا، ولكنه علىّ بن أبى طالب.

تفرق رجال قريش، يبحثون عن محمد وصاحبه، بعد أن ذهبوا إلى دار أبى بكر، وعلموا أن أبا بكر خرج مع صاحبه محمد.

وصل الباحثون من رجال قريش إلى غار ثور، فإذا نسيج العنكبوت يغطى فوهة الغار، وإذا يمامتان ترقدان على بيض لهما، فأنكروا أن يكون أحد دخل الغار.

---

(١) عبد الله بن أريقط (أريقد). اتخذه الرسول وأبو بكر دليلاً لهما فى هجرتهما، اختلفوا فى إسلامه، هل أسلم؟ أم بقى على كفره؟ (الإصابة ج٢.

بينما كان رجال قريش يتحدثون، وينظرون فى الغار، قال أبو بكر للرسول:

- يا رسول الله.. هؤلاء قومك يطلبونك، لو نظر أحدهم تحت قدميه رآنا، والله ما أخاف على نفسى، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره.

فى ثقة وإيمان بالله، قال الرسول لصاحبه:

((يا أبا بكر.. ما رأيك فى اثنين الله ثالثهما؟ لا تخف إن الله معنا)).

قضى الرسول وصاحبه أبو بكر فى الغار ثلاثة أيام.

خلال هذه المدة، كان عبد الله بن أبى بكر [١] يأتيهما فى المساء، ليخبرهما بأخبار قريش، وكانت أسماء بنت أبى بكر [٢] تأتيهما بالطعام، وكان عامر بن فهيرة [٣] يرعى أغنامًا على غير بعيد من الغار، يحاول أن يجعل أغنامه ترعى؛ لتطمس معالم أقدام عبد الله وأسماء فإذا كان الليل.. احتلب أغنامه، وقدم اللبن إلى الرسول وصاحبه،

فلما أدرك الرفيقان أن رجال قريش أمسكوا عن البحث عنهما، وخمدت نار الطلب عليهما بعد أن أعلنوا عن مكافأة قدرها مائة بعير لمن يأتى بهما.. خرج الصاحبان من الغار، وكان عبد الله بن أريقط قد أعد لهما راحلتين.. امتطى كل منهما راحلته وأخذا معهما الزاد من الطعام والشراب، وأخذ أبو بكر معه خمسة آلاف درهم.

ومضى الرفيقان فى طريقهما إلى يثرب.

لا حاجة لنا إلى متابعة الرفيقين فى رحلتهما، فنحن فى صدد الحديث عن غار ثور كأحد الأماكن التى ذكرها القرآن الكريم.

---

(١) عبد الله بن أبى بكر: أمه قتيلة من بنى عامر. هو شقيق أسماء بنت أبى بكر.. أسلم قديمًا. شهد فتح مكة، وحصار حنين، كما شهد حصار الطائف، ورمى فيها بسهم أصاب قدمه بجرح، انتفض جرحه ومات فى خلافة أبيه سنة ١١هـ. (الاستيعاب ج٢ ص١٢٢).

(٢) أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) أخت عائشة أم المؤمنين، كانت زوجة للزبير بن العوام، وأم عبد الله بن الزبير، شهدت الصراع بين ابنها ومعاوية بن أبى سفيان. توفيت سنة ٧٣هـ.

(٣) عامر بن فهيرة التميمى: مولى أبى بكر، أحد السابقين إلى الإسلام، استشهد فى سرية بئر معونة. (الإصابة ج٢ ص ٣٤٣).

**** زمن هذه الأحداث:**

استنادًا إلى ما ذكره بعض المؤرخين والرواة من أن الصاحبين وصلا إلى قباء يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة المحمدية.

وحيث أن المسافة بين مكة والمدينة المنورة تستغرق حوالى أسبوع.

يمكن أن نقول: إن بداية الهجرة كانت فى أوائل ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة المحمدية، وهذا التاريخ يقابله ١٦ يوليو سنة ٦٢٢م. والله أعلم.

**** موقع غار ثور[(١)]:**

يقع هذا الغار فى جبل ثور على بعد ٤كم من جنوب المسجد الحرام، فى الطريق من مكة إلى منى واليمن.

ارتفاع هذا الغار ٧٤٨م عن سطح البحر، ونحو ٤٥٨م من سطح الجبل.

هذا الغار عبارة عن صخرة مجوفة، أشبه بسفينة صغيرة طولها ٣.٥م وأقصى عرضها ٣.٥م وارتفاعها ١.٢٥م.

للغار فتحتان.. إحداهما فى الناحية الغربية، وهى التى دخل منها الرسول وصاحبه.. وكان على الشخص أن يدخل زاحفًا، وقد وسعت هذه الفتحة فى القرن التاسع الهجرى، ونهاية القرن الثالث عشر الهجرى.

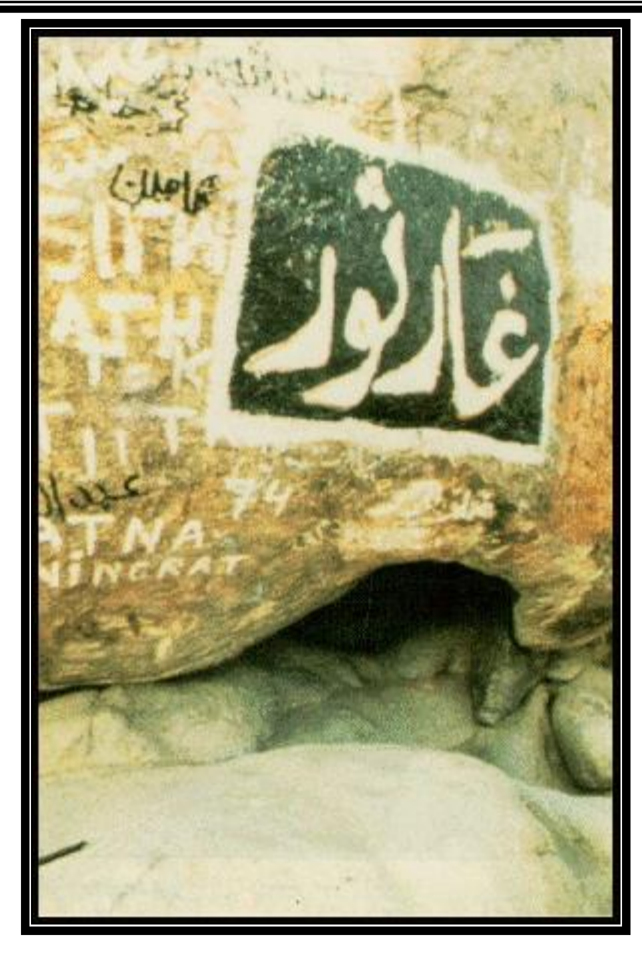
أقصى ارتفاع هذه الفتحة مترًا واحدًا.

أما الفتحة الشرقية، فهى أوسع من الغربية، وهى فتحة مستحدثة لتسهل دخول الناس إلى الغار.

يستغرق الصعود إلى هذا الغار ساعة ونصف ساعة. انظر صورة الغار.

---

(١) تاريخ مكة المكرمة قديمًا وحديثًا.



صورة لغار ثور حيث اختبأ الرسول وأبو بكر يوم الهجرة

يَثْــرِب
(المدينــة المنَــورة)

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٣].

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٠].

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١].

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨].

**** الأحداث التى وقعت فى المدينة (يثرب) وأزمانها :**

أحداث كثيرة عاشتها يثرب.. منها ما كان قبل البعثة المحمدية، ومنها ما كان بعدها، بعد هجرة المسلمين إلى المدينة.

تذكر صفحات التاريخ قبل البعثة المحمدية ثلاثة أحداث:

١) كان هاشم جد الرسول أحد الرجال الذين يجوبون الصحراء مع قوافل تجارتهم بين مكة والشام وغيرها من المدن.

نزل هاشم ذات يوم إلى سوق يثرب.. كان ذلك حوالى سنة٤٩٥م (١). فرأى سيدة تدير شئون تجارتها فى السوق بحكمة وقدرة.. عرف أن اسمها سلمى، واحدة من نساء بنى النجار، فعرض على قومها الزواج منها، فرحبوا به، فقد كانوا يعلمون عن هاشم مكانته من قومه فى مكة.

---

(١) جدول نسب الرسول، حياة محمد ص١٢٣.

من سلمى أنجب هاشم ابنه شيبة الذى عرف بعد ذلك باسم المطلب، ثم عبد المطلب جد الرسول.

٢) أما الصفحة الثانية من صفحات التاريخ فى يثرب، فكانت سنة ٥٧٠م.

خرج عبد الله بن عبد المطلب بعد زواجه من آمنة بنت وهب فى قافلة تجارة إلى الشام، وعند عودته إلى مكة مرض، فاستبقاه أصحابه من رجال القافلة عند أخواله بنى النجار، حتى يشفى، ولكن الموت أعجل به إلى نهاية حياته بعد أن خَلَّف فى بطن زوجه آمنة جنينًا..

٣) ثم كانت الصفحة الثالثة سنة ٥٧٧م حين خرجت آمنة مع ابنها محمد وجاريتها بركة إلى يثرب لتزور قبر زوجها الحبيب عبد الله، وعند عودتها، أصابها المرض فى الطريق، فماتت ولحقت بزوجها ودفنها ابنها وجاريتها فى الأبواء [١].

ثم كانت بعد ذلك صفحات الرسول فى يثرب التى سماها المدينة المنورة.

* إلى يثرب كانت هجرة الرسول وصاحبه أبى بكر سنة ٦٢٢م.

ثم تتابعت هجرات المسلمين، لتصبح المدينة التربة الخصبة التى ترعرت فيها شجرة الإسلام، وأينعت وأثمرت وآتت أكلها بإذن ربها ورعايته لرسوله محمد ﷺ.

صفحات كثيرة سجلها التاريخ، وذكرها القرآن الكريم فى آياته المحكمات.. وقعت أحداثها فى المدينة المنورة بعد الهجرة، كان منها أمر الله لرسوله بتغيير قبلته فى الصلاة على أن يتوجه إلى مكة بدلاً من بيت المقدس.

* أحداث وانتصارات عاشها المسلمون فى المدينة.. السرايا التى كان يبعثها الرسول خارج المدينة المنورة: غزوة بدر، غزوة أحد، الخندق، وحصار يهود بنى قريظة، وبنى النضير، وتطهير المدينة المنورة من شرورهم.

---

(١) الأبواء: مكان فى الطريق بين مكة والمدينة المنورة على بعد ١٣٠ كم جنوب المدينة.

* الآية (١٧) من سورة الأحزاب تحكى أحد المواقف التى عاشها الرسول مع المنافقين فى المدينة المنورة، هؤلاء الذين لم يتمكن الإيمان فى قلوبهم.

كان ذلك فى شهر شوال سنة ٥هـ فى غزوة الأحزاب.

كان الرسول قد علم بتحزب قريش مع بعض القبائل العربية، يشاركهم اليهود.. أجمعوا على مهاجمة المدينة المنورة للقضاء على الرسول والإسلام.

خرج الرسول إلى خارج المدينة مع بعض أصحابه؛ ليتشاوروا فى كيفية مواجهة الأعداء، اقترح أحد الصحابة، وهو سلمان الفارسى [(١)] حفر خندق حول المدينة، ليمنع الأعداء من دخولها.

هنا برز بعض المنافقين، وثاروا فى أهل المدينة، ليثبطوا عزيمتهم، وليخوفوهم من مواجهة الأعداء. قالوا لهم:

- أيها القوم.. لا مقام لكم فى المدينة، فسيدخلها الأعداء، يأسرون الرجال، ويَسْبُون النساء، ويقتلون الرجال.

وذهب بعضهم إلى الرسول، وقالوا له:

- إن بيوتنا عورة.. مكشوفة، ليست محصنة مثل دور اليهود، ومن السهل على الأعداء دخولها.

كان هؤلاء فيما يقولونه لا تدفعهم مصلحة الناس، وإنما يدفعهم الجبن والخوف من القتال، وما كانوا يدرون أن الله ناصر نبيه ودينه، ولو أدرك هؤلاء الحقيقة، لعلموا أن فرارهم لن يمنعهم من الموت.

---

(١) سلمان الفارسى: أصله من أصفهان ببلاد الفرس، وتنقل بين عدة مدن حتى وصل إلى يثرب، وعلم بمقدم نبى جديد، حضر دخول الرسول المدينة المنورة، كان سعيدًا به وبالإسلام، لما فتح المسلمون فارس، جعله عمر بن الخطاب على المدائن، توفى سنة ٣٥هـ. (طبقات ابن سعد ج٤ ص٤).

لذلك لم يستمع الرسول إلى هؤلاء المنافقين، وكان النصر من عند الله، عجز الكفار عن اقتحام الخندق، وبعث الله عليهم ريحًا بعثرتهم، ففروا خائفين من حيث أتوا.

** موقف آخر حدد القرآن الكريم مكانه فى المدينة المنورة :

كان ذلك فى غزوة بنى المصطلق [١]، التى وقعت أحداثها فى شهر شعبان سنة ٥هـ حين استعد بنو المصطلق بزعامة الحارث بن أبى ضرار؛ لمهاجمة المسلمين فى المدينة المنورة، فتجهز المسلمون بجيش كبير لقتالهم، كان الجيش يتقدمه الرسول والصحابة حيث التقى الطرفان فى مكان يعرف بالمريسيع، وانتصر المسلمون وأسروا نساء بنى المصطلق. كانت منهن جويرية بنت الحارث التى تزوجها الرسول.

يهمنا فى هذه المعركة ما كان من أمر المنافق عبد الله بن أبى سلول الذى ساءه انتصار المسلمين، وقال لنفر من أصحابه:

- هذا ما فعلتم بأنفسكم.. أحللتموهم (يقصد المهاجرين) بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، وتكاثروا فى دياركم، فكنتم كما قال الأولون: سَمِّن كَلْبَك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

وسمع الرسول ما قاله المنافق ابن سلول، فذكره لبعض الأنصار، فقالوا له:

- أنت الأعز وهو الأذل.

واستعد كثير منهم لقتل ابن سلول، ولكن الرسول منعهم.

وهكذا.. كانت صفحات التاريخ ذاخرة بالكثير من الأحداث التى وقعت فى يثرب (المدينة المنورة)

** موقع المدينة المنورة (يثرب) :

تقع المدينة المنورة على الطريق بين مكة والشام على بعد ٥٠٠كم شمال مكة، وعن مدينة الوجه التى تقع فى شمال المملكة العربية السعودية بحوالى ٤٩٠كم.

---

(١) بنو المصطلق: هم فرع من قبيلة خزاعة، كانوا يسكنون وادى قديد بين مكة والمدينة.

فلكيًا: تقع المدينة تقريبًا عند التقاء خط طول ٤٠.٥ شرقًا مع دائرة عرض ٢٥.٥ شمالاً .

ترتفع عن سطح البحر ٦٠٠ مترًا.

للمدينة عدة أسماء أهمها: المدينة، طيبة، طابا، المحبوبة والمختارة.

إليها هاجر الرسول وبنى مسجده.. ومنها خرجت جيوش المسلمين لنشر لدعوة الإسلام، وبالقرب منها كانت أحداث إسلامية منها: غزوة بدر، أحد، والخندق ومحاصرة اليهود حتى تم طردهم منها.

أول من سكنها العماليق الذين هاجروا إليها من جنوب الشام، ثم اليهود الذين فروا إليها من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم.

كما هاجر إليها قبيلتا الأوس والخزرج من اليمن بعد انهيار سد مأرب.

هى أكثر اعتدالا من مكة، لوقوعها فى الشمال.

تشتهر المدينة بنخيلها وبساتينها ومزارعها، وأشجارها المثمرة.

فيها قبر رسول الله وقبور نسائه وصحابته، وكثير من التابعين.

تشتهر المدينة بكثير من معالمها الدينية: مسجد قباء، أول مسجد أقامه المسلمون، والمسجد النبوى فى وسط المدينة، الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه ما عدا المسجد الحرام، ومساجد الصحابة ومسجد القبلتين.

من صلى بالمدينة أربعين صلاة حرَّمَ الله جسده على النار، ومن صبر على أوارها وحرها، كان الرسول لـه شفيعًا يوم القيامة.

دعا الرسول لها، وقال:

((اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة)) (متفق عليه).



صورة للمدينة المنورة (يثرب) ومسجد الرسول ﷺ

بَـــدْر

أول معركة انتصر فيها المسلمون على جيش قريش

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

ترامت إلى الرسول والمسلمين أنباء قافلة قريش، يقودها أبو سفيان بن حرب [١] قادمة من الشام، عائدة إلى مكة.. تتكون من ألف بعير تحمل تجارة ومتاعًا وأموالاً.

كان من حق المسلمين أن يتعرضوا لهذه القافلة عند عودتها، لعلهم يغتنمون منها ما يعوضهم عما استولى عليه رجال قريش من دور وأموال ومتاع الذين هاجروا.. تلك الخسائر التى ألحقها رجال قريش بالمهاجرين.

بعث الرسول اثنين من المسلمين إلى الشام، ليتحسسوا أخبار القافلة، لكن القافلة بقيادة أبى سفيان استطاعوا الفرار بأموالهم وإبلهم ومتاعهم وبضاعتهم.

علم أبو سفيان بأن المسلمين كانوا يستعدون لمهاجمة قافلته، فبعث أحد رجاله، وهو ضمضم إلى مكة، يستنفر رجال قريش للاستعداد بجيش لمواجهة المسلمين.

وجدها القرشيون فرصة للنيل من محمد والإسلام، فكونوا جيشًا قوامه ١٠٠٠ مقاتل يحملهم ١٠٠٠ بعير، وساروا إلى المدينة المنورة،

علم الرسول بمقدم جيش قريش، فنادى فى المسلمين، وشاورهم فيما يفعلون.

أجمع المهاجرون والأنصار على لقاء جيش قريش آملين فى نصر الله لهم.

---

(١) أبو سفيان بن حرب. أحد زعماء مكة. والد معاوية مؤسس الدولة الأموية. ورملة (أم حبيبة) إحدى أمهات المؤمنين، كان من أشد أعداء الإسلام والرسول.. أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه.

كوَّن المسلمون جيشًا من ثلاثمائة وبضعة عشر مقاتل ومعهم مائة بعير، كل ثلاثة يتناوبون على بعير واحد.

نزل جيش المسلمين بالعدوة الدنيا.

أشار الحباب بن المنذر (١) على الرسول أن يجعل المسلمون ماء بدر خلفهم، حتى يمنعوا الماء عن أعدائهم.

نزل جيش قريش بالعدوة القصوى، فقال الرسول لرجاله:

- ((هذه مكة.. قد ألقت إليكم بفلذات أكبادها)).

قضى المسلمون ليلهم هادئين، غشاهم النعاس، ليستريحوا، هكذا شاء الله لهم، بينما قضى رجال قريش ليلتهم فى لهو ومرح مع شياطينهم. يشربون الخمر ويغنون.

فلما كان الصباح.. تأهب الطرفان للقتال.

اتجه الرسول إلى ربه يناديه:

-((اللهم إن تهلك هذه العصبة، لا تعبد بعدها فى الأرض. اللهم انجز لى نصرك الذى وعدتنى به)).

وكان أبو بكر يقف بجوار رسول الله، يشاركه دعاءه.

تزاحف الجيشان للقتال.

خرج الأسود بن عبد الأسد من بين صفوف رجاله، واتجه إلى الحوض خلف جيش المسلمين، وقال فى تحد وإصرار:

- أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه.

عند ذلك تصدى لـه حمزة بن عبد المطلب، وضربه ضربة أطاحت بنصف قدمه، ومع

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام، استحسن الرسول رأيه، وقال لـه:
- يا حباب.. أشرت بالرأى.
شهد الحباب كثيرًا من الغزوات: بدرًا وأحدًا والخندق وحصار بنى النضير وبنى قريظة. توفى فى خلافة عمر بن الخطاب. (طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٣٥).

ذلك استمر الأسود يزحف نحو الحوض، آملاً أن يبر بقسمه، فعاجله حمزة بضربة قضت عليه.

هنالك خرج من صفوف قريش ثلاثة رجال هم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، ونادوا:

- أَخْرج إلينا يا محمد من يبارزنا.

خرج إليهم ثلاثة من الأنصار، لكنهم قالوا لهم:

- لا حاجة لنا لقتالكم، لستم أكفاء لنا.

وعادوا ينادون الرسول، ليخرج إليهم ثلاثة من المهاجرين.

خرج إليهم حمزة بن عبد المطلب (١) وعبيدة بن الحارث (٢)، وعلى بن أبى طالب.

لم يمهل حمزة شيبة، قتله صريعًا، وأسرع علىّ بن أبى طالب على الوليد، فأرداه قتيلاً، وتبارز عبيدة وعتبة دون أن يحرز أحدهما النصر على خصمه.

يومها جُرح عبيدة، فكرَّ حمزة وعلىّ على عتبة بأسيافهما، فأجهزا عليه.

وكانت بداية المعركة.

تلاحم الفريقان، وتقارعت السيوف، وملأ الغبار ميدان المعركة، وتراشقت النبال، وتعانقت السيوف، وعلا صوت المسلمين يكسرون شوكة رجال قريش.

استجاب الله لدعاء رسوله وكتب النصر لرجاله، أمدهم بألفين من الملائكة مردفين.

وتبارى المسلمون إلى الجنة، حتى عمير بن الحمام الذى كان يتناول تمرة. ما كاد يسمع نداء الحرب حتى لفظ ما فى فمه، وأسرع يشارك إخوانه المعركة.

---

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم. عم رسول الله. أسلم. وكان خير معين لرسول الله فى مواجهة قريش. هاجر إلى المدينة المنورة. شهد بدرًا. وأحدًا، واستشهد يوم أحد، قتله وحشى الحبشى بتحريض من هند بنت عتبة زوج أبى سفيان، انتقامًا منه لأنه قتل أباها وأخاها يوم بدر .

(٢) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب . أسلم مبكرا وهاجر إلى المدينة ، بعثه الرسول في سرية لمهاجمة قافلة تجارة يقودها أبو سفيان . مات بعد جرحه فى بداية يوم بدر .(الطبقات ج٣ ص ٤٨) .

خلال المعركة.

لمح بلال بن رباح أمية بن خلف بين صفوف المقاتلين من قرش، فنادى:

- أمية بن خلف، لا نجوت.

- لا شك أن بلالاً فى هذه اللحظة، تذكر تعذيب أمية لــه، فأسرع إليه وهاجمه، وضربه بسيفه، ليسقط أمية يصارع الموت، قتله !!.

ووهنت صفوف قريش، وعلت صفوف المسلمين.

أحس أبو جهل بالهزيمة، راح يصرخ فى قومه يحرضهم على القتال.

كان صبيان من الأنصار يتابعان المعركة، وعلما ما كان يفعله أبو جهل بالرسول، فأسرعا إليه وسط المعركة، وضرباه، فسقط قتيلاً.

كانت معركة رهيبة، أبلى فيها المسلمون بلاءً حسنًا. قتلوا كثيرًا من الكفار.

وانجلت المعركة عن انتصار ساحق للمسلمين، وهزيمة منكرة لقريش.

فكانت هذه المعركة فاتحة نصر للإسلام.

** **موقع بدر وزمنها :**

لا ينسى التاريخ هذه الصفحة لبدر يوم ١٧ رمضان سنة ٢هـ التى كانت بداية جديدة لمرحلة من مراحل تطور واتساع الدولة الإسلامية.

تقع بدر على الطريق بين مكة والمدينة المنورة.

تقع على بعد٤٠كم من شرق ساحل البحرالأحمر، وعلى بعد حوالى٨٠ كم من جنوب غرب المدينة المنورة.

* * * * *

حُنَيْـــن

إحدى المعارك فى الإسلام

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

نجح المسلمون فى فتح مكة ودخلوها منتصرين من غير قتال، وأقبل كثير من أهلها يعلنون إسلامهم، ويطلبون العفو والصفح من رسول الله، وحطم المسلمون ما كان يملأ الكعبة والمسجد الحرام من أصنام.. حتى تلك الأصنام التى أقامتها بعض القبائل لعبادتها خارج الكعبة، بعث إليها من هدمها، فيالسعادة المسلمين بهذا النصر المظفر.

ترامت أنباء انتصارات المسلمين إلى قبيلة هوازن الذين كانوا يسكنون جنوب مكة، وأحسوا أن العاقبة ستدور عليهم، وأن المسلمين سيهاجمون دورهم.

لذلك جمعهم سيدهم مالك بن عوف النضرى، وشاركتهم قبيلتا نصر وجشم، استعدادًا للقاء المسلمين ومهاجمتهم فى مكة، فكونوا جيشًا كبيراً ، وحشروا خلفهم الأطفال والنساء فوق الإبل؛ ليظهر الجيش أكثر قوة وعددًا، وكانت معهم أموالهم، حتى يتفانوا فى الدفاع عنها.

بعد أسبوعين من فتح مكة، علم الرسول والمسلمون باستعداد هوازن وحلفائهم لمهاجمة المسلمين.

كون الرسول جيشًا قوامه ١٢٠٠٠ مقاتل من المسلمين الذين فتحوا مكة، والذين آمنوا فيها، واقترضوا من أهل مكة الدروع والرماح.

كان جيشًا كبيرًا، حتى أن بعض المسلمين قالوا لزملائهم:

- لن نُغْلَب اليوم من قلة ونحن كثيرون.

بلغ جيش المسلمين حنينًا فى المساء، فلما كانوا قبل الفجر وفى عتمة الليل.. خرج المسلمون لمهاجمة أعدائهم، لكنهم فوجئوا بجيش هوازن يباغتهم من مكمنه خلف مضيق الوادى، وأمطروا المسلمين بالنبال من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم.

وتلاحم الجيشان، واختلط الحابل بالنابل، واضطرب المسلمون، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فتساقط كثير منهم صرعى، دارت الدائرة على المسلمين الذين ظنوا أن النصر حليفًا لهم؛ لكثرتهم، وفر الكثير من المعركة.

لكن الرسول ثبت فى مكانه، لم يزعزعه الموقف، فنادى فى جيشه:

- أين الناس؟

هنالك برز العباس بن عبد المطلب بصوته الجهورى يتردد صداه فى أنحاء الوادى.. ينادى:

- يا معشر الرجال.. هلمُّوا إلى محمد رسول الله، يا معشر الأنصار والمهاجرين.. أقبلوا إلى رسول الله.. إنه يناديكم.

فرد عليه كثير من الرجال:

- لبيك.. لبيك يا رسول الله.

فما مضى غير قليل، حتى اجتمع حول الرسول نفر كثير، وأمرهم الرسول بالالتفاف حول جيش هوازن، وواجهوهم وجهًا لوجه. والمسلمون مصرون على استعادة النصر مهما كلفهم من تضحية وفداء.

تناول الرسول حفنة من تراب وألقاها على العدو، وقال:

- ((شاهب الوجوه)).

فاندفع المسلمون مؤمنين بان الله سينصرهم ،وليس لكثرة عددهم، وقاوموا العدو فى منطقة أوطاس، وأوسعوهم قتلاً وجرحًا، فتساقطوا صرعى بالنبال والسهام التى سددها المسلمون إلى صدورهم، فأردتهم قتلى. ففروا، فتتبعهم المسلمون حتى وصلوا الطائف.

وغنم المسلمون كثيرًا من غنائم هوازن كانت: ٢٢٠٠٠بعير، ٤٠٠٠ شاة، وأموالاً وذهبًا وفضه، نقلها المسلمون إلى جعرانة، وقسمها الرسول.

كان هذا درسًا للمسلمين الذين اغتروا بكثرة عددهم ونسوا الله، فلما رجعوا إلى الله كان نصره لهم وأعزهم.

زمن هذه الأحداث:

كان فتح المسلمين لمكة فى رمضان سنة ٨هـ.

هذه الأحداث وقعت فى شوال سنة ٨هـ (٦٣٠م).

** موقــع حنيــن:

تقع حنين على وادى حنين، وهو واد من أودية مكة على بعد حوالى ٣٠كم من شرق مكة. وموقع حنين قرب ذى المجاز (السوق التى كانت معروفة فى الجاهلية)، يعرف هذا الوادى اليوم باسم وادى الشرائع.

* * * * *

مسجد الضرار

ومسجد أسس على التقوى

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١٠٩].

** **تمهيد:**

هذان مسجدان:فى قباء،أحدهما بناه الرسول، والآخر بناه المنافقون، فشتان بين المسجد الأول الذى أسس على التقوى والإيمان، والآخر الذى أسس على الكفر والنفاق.

** **أولاً: مسجد قباء:**

** ظروف وزمن بنائه:

فى رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة.. مضى الرسول وأبو بكر بعد خروجهما من غار ثور فى طريقها إلى يثرب.. حتى وصلا إلى قباء يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة المحمدية.

فى قباء، بنى الرسول أول مسجد(١). مسجد أسس على التقوى من أول يوم.

فى حديث لرسول الله أنه قال:

---

(١) كان هذا المسجد قائمًا على جذوع النخيل، صلَّى فيه رسول الله صلاة الجمعة.. وقد أعيد بناء هذا المسجد فى عهود مختلفة، حتى بلغ الآن صورة من صور الهندسة والعمارة. انظر الصورة

- ((من تطهر فى بيته وأتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة، كان لـه أجر عمرة)) رواه البخارى.

** **ثانيًا : مسجد الضرار:**

عُرِفَ المنافقون بكذبهم وتضليلهم، يسعون للقضاء على الرسول والإسلام.

على مقربة من مسجد قباء.. أقام المنافقون مسجدًا، يجتمعون فيه، ليكيدوا للإسلام؛ وليمكروا بالمسلمين، وليحاولوا أن يجدوا من الوسائل ما يضعف الإسلام، ويقضى عليه، متظاهرين بأنهم أقاموه لصلاة المسلمين الذين لا يستطيعون الذهاب إلى المسجد النبوى.

الذين بنوا هذه المسجد اثنا عشر منافقًا.

وكان الذى أشار عليهم ببناء هذا المسجد هو أبو عامر الراهب (١) أحد قادة النفاق وابن خالته زعيم المنافقين عبد الله بن أبى سلول.

بعد أن انتهى المنافقون من بناء مسجدهم، أرادوا أن يلبسوه ثوبًا من الحقيقة، فذهبوا إلى رسول الله، وقالوا لـه:

- يا رسول الله.. إننا قد بنينا مسجدًا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة. والشاتية، ونحن نحب تأتينا، فتصلى لنا فيه.

صورة ظاهرها الرحمة والمحبة، وباطنها الضلال.

---

(١) أبو عامر الراهب: اعتنق النصرانية، دعاه الرسول إلى الإسلام، فأبى، كان على رأس المنافقين، ولذلك سماه الرسول " الفاسق "، خرج إلى مكة قبل غزوة أحد، ليستنفر قريشًا لقتال المسلمين، ولما لم يحقق هدفه، سافر إلى الشام، واتصل بهرقل الرومانى، وحرَّضَه على المسلمين، كان يكتب إلى إخوانه المنافقين، ويرسم لهم الخطط للنيل من الإسلام، وهو الذى اقترح عليهم بناء مسجد الضرار.

كان الرسول يستعد بجيش العسرة، لقتال الرومان فى تبوك [١]، فقال لهم:

- إنى على جناح سفر وحال وشغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم، فصلينا لكم فيه.

علم المنافقون برحيل جيش المسلمين إلى تبوك، فراحوا ينتظرون أوبته، على أمل أن يحقق لهم الرسول الصلاة فى مسجدهم.

وتتابعت الأيام.

حتى كان ذات يوم..

عاد الرسول والجيش من تبوك، وكان الرومان قد فروا حين شعروا بمقدم جيش المسلمين.

واقترب الرسول من المدينة، وهو ينوى أن يحقق وعده.. الصلاة فى المسجد الذى بناه هؤلاء القوم.

عند مكان يعرف باسم (ذو أوان) على مسيرة ساعة من المدينة المنورة. نزل جبريل على رسول الله يخبره بحقيقة هؤلاء المنافقين، أنزل عليه قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

لذلك بعث الرسول مالك بن الدخشم ومعن بن عدى، وقال لهما:

- انطلقا إلى المسجد الظالم أهله، فأهدماه وحرقاه.

خرج الصحابيان مسرعين، حتى أتيا رهط بنى سالم، وهم من رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن:

- انظرنى حتى آتى لك بنار من أهلى.

---

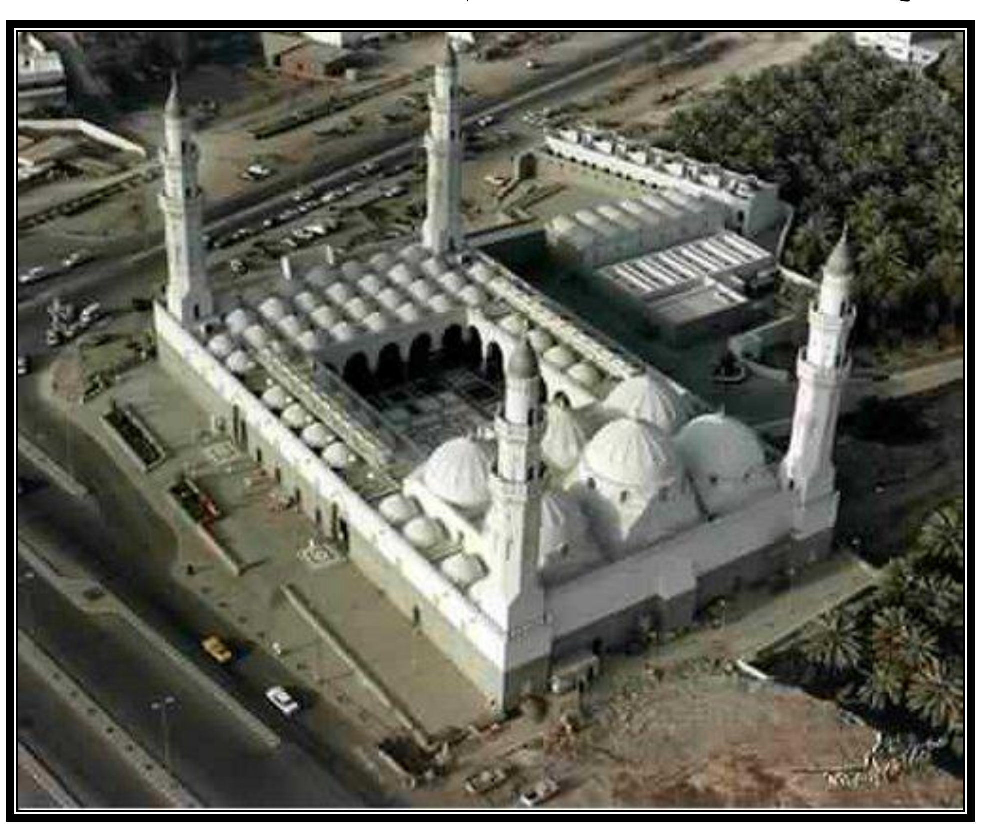
(١) غزوة تبوك كانت فى رجب سنة ٩هـ.

دخل مالك إلى أهله، فأخذ سعفًا من النخيل، أشعل فيه نارًا، ثم أتى إلى صاحبه ودخلا المسجد، وفيه جماعة من المنافقين، فحرَّقاه، وهدماه، فتفرق من كانوا فيه.

وهكذا.. كانت نهاية مسجد الضرار الذى بنى على الكفر والضلال والتفريق بين المسلمين.

**** موقــع قبــاء:**

تقع جنوب المدينة المنورة على بعد ١٥كم.



صورة مسجد قباء الذى بناء الرسول قبل دخوله المدينة فى الوقت الحاضر

عرفات والمشعر الحرام (المزدلفة)

من مناسك الحج

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

(١) عرفـــات

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان وأزمانها :**

يذكر بعض الرواة أن هذا المكان عُرف بهذا الاسم، لأن عنده تعارف آدم وحواء، بعد أن أهبطهما الله من الجنة.

فى رواية أخرى أن جبريل عليه السلام عرَّف سيدنا إبراهيم عليه السلام مناسج الحج فيه.

* تذكر صفحات التاريخ أن عرفة هذا هو المكان الذى وقعت فيه أحداث الفداء. فداء الله لإسماعيل بكبش عظيم.

كما سبق أن ذكرنا أن إسماعيل عليه السلام كان مولده سنة ١٩١١ق. م.

يمكن أن نقول إن هذه الأحداث. أحداث قصة الفداء وقعت حين كان عُمْر إسماعيل عشر سنوات، أى حوالى ١٩٠١ق. م وقبل مولد إسحاق، لأن إسحاق ولد بعد إسماعيل بحوالى ١٣ سنة.

جاء إبراهيم عليه السلام إلى مكة ذات يوم لزيارة زوجه هاجر وابنه إسماعيل، توسد حجرًا، ونام تحت شجيرة بجوار بئر زمزم، وأصاب الغمض جفنيه، فسمع هاتفًا يناديه:

- يا إبراهيم: الله يأمرك أن تذبح ولدك إسماعيل!!

وما يملك إبراهيم إلا أن ينفذ أمر الله، أن يذبح إسماعيل، مهما كانت قسوته على وحيده الذى وهبه الله بعد عطش سنين طالت.

نهض إبراهيم من غفوته، يتعثَّر فى خطاه، تثقله الأفكار.

لم يخبر إبراهيم ولده إسماعيل، ولكنه اتفق معه على رحلة احتطاب خارج مكة.

ورأى الصبح حين أسفر الشيخ إبراهيم يحمل فى يده حبلاً ومدية، يصطحب معه ابنه إسماعيل.

حتى بلغ إبراهيم وولده إلى جبل عرفات.. قال إبراهيم لإسماعيل:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فى قوة وثبات، قال إسماعيل لأبيه:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

أوثق إبراهيم إسماعيل، وأمسك بالمدية، يمضى بها على رقبة ابنه، ويعلم الله ما فى قلبه من لوعة وألم.

لكن المدية لا تذبح، كأنما نزعت عنها خاصيتها.

خيل إلى إسماعيل أن أباه عاجز عن ذبحه، تغلب عليه مشاعر أبوته، فقال له:

- يا أبتى.. كبَّنى على وجهى، واشدد وثاقى، واشحذ شفرتك، وأسرع بالسكين على حلقى، واكفف عنى ثيابى، حتى لا ينتضح عليها دمى، فإن أتيت أمى، فاقرئها منى السلام، ورد عليها قميصى، لعله يشفى بعض جراح نفسها علىّ.

حاول إبراهيم أن يفعل، لكن المدية لا تذبح.

هنالك سمع إبراهيم صوتًا يناديه:

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥].

ورأى إبراهيم كبشًا يقدم نحوه، والهاتف يناديه:

﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧ ﴾ [الصافات: ١٠٧].

قام إبراهيم إلى ولده فى سعادة، وفك وثاقه، وذبح الكبش، فداءً لولده، دليلاً على رضاه عليه.

وأشرق نور الإسلام على مكة، وامتد نوره إلى المدينة المنورة بعد هجرة الرسول إليها، وكانت أحداث كثيرة عاشها المسلمون من نصر إلى نصر، لا نجد مجالاً للحديث عنها فى هذا المقام.

لكننا نقف وقفة هامة عند حجة الوداع (الحج الأكبر) سنة ١٠هـ.

فى هذه الحجة.. وقف رسول الله والمسلمون على جبل عرفات، فى اليوم التاسع من شهر ذى الحجة من الفجر حتى غروب الشمس، يدعون الله.

فى هذا اليوم، تنزل ملائكة من السماء، ينظر الله إلى الحجاج، ويقول لملائكته:

- هؤلاء أتونى شعثًا؛ يبتغون فضل رضوانى.. يا أهل عرفة.. قد غفرت لكم.

وكان أكثر دعاء رسول الله يوم عرفة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير).

فى عرفات.. أنزل الله على الرسول قوله تعالى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

**** موقع جبل عرفات وأشهر معالمه :**

يقع جبل عرفات خارج حدود الحرم المكى، جنوب شرق المسجد الحرام على بعد ٢٢ كم منه.

أما موقعه فلكيًا، فهو يقع عند تقاطع خط طول ٤٠ ° شرقًا مع دائرة عرض ١٢ شمالاً تقريبًا.

جملة مساحة جبل عرفات ١٠.٤كم[٢].

من أهم معالم جبل عرفات:

١) جبل الرحمة: وهو جبل صغير من حجارة صلدة، يقع فى شرق عرفات بين الطريق٧، ٨ على بعد نحو ١٥٠٠م من مسجد نمرة، سطح الجبل مستو، يدور حوله حائط، وبأسفل الجبل: مسجد الصخرات، ويجرى عين زبيدة.

ارتفاع هذا الجبل عن سطح البحر ٣٧٢م، يتراوح طوله بين ٢٠٠، ١٧٠م، ويتراوح عرضه بين ١٧٠، ١٠٠م، ومحيطه ٦٤٠م. انظر الصورة

٢) مسجد نمرة: يقع هذا المسجد على الحدود الغربية لجبل عرفات.

فى مكانه، كانت خيمة نزل الرسول عندها فى اليوم التاسع من ذى الحجة فى حجة الوداع.

عنده صلى الرسول الظهر والعصر معًا (قصرًا).

وقد تم بناء مسجد نمرة فى القرن الثانى من الهجرة فى عصر العباسيين، وحدثت فيه توسعات كثيرة، كما تمت توسعته فى العهد السعودى، حتى أصبحت مساحته ١١٠٠٠٠م٢.

به (٦) ست مآذن، يستوعب حوالى ٣٥٠٠٠٠ ثلاثمائة وخمسون ألف مصل. (انظر الصورة والرسم الذى يوضح معالم عرفات).

٣) مسجد السخيرات: يقع أسف جبل الرحمة على يمين الصاعد إليه، وقف عنده رسول الله يوم حجة الوداع حتى غربت الشمس.

٤) وادى عُرنة: هو أحد أودية مكة، يقع جزء منه فى عرفات، وجزء خارج عنه، عنده خطب رسول الله خطبته المشهورة التى قال فيها:

- ((إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا.. اللهم اشهد)) قالها ثلاث مرات.

* * * * *

(٢) المشعر الحرام (المزدلفة)

تقع بين عرفات ومنى، وسميت بهذا الاسم لأن الحجاج يزدلفون إليها (ينزلون جميعًا) فى زلف من عرفات إلى منى، ويقال: لأن آدم اجتمع فيها مع حواء.

فيها جمع الرسول فى حجة الوداع صلاة المغرب والعشاء، وهى مبيت الحجاج حين يهبطون من عرفة إلى منى، ويصلون فيها المغرب والعشاء قصرًا، جمع تأخير بأذان وإقامتين، ويجوز للحجاج أن يأخذوا منها الحصوات التى يلقونها عند العقبات الثلاث.

عندها أقيم مسجد المشعر الحرام، يستوعب أكثر من ١٢٠٠٠ مصل، وبه مكان للوضوء ودورات للمياه.



صورة لجبل عرفات

* * * * *

فهــرس الصور

* * * * *

مراجع الكتاب

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
١	القرآن الكريم	ـــــ	
٢	العهد القديم (التوراة)	ـــــ	مطبعة الكتاب المقدس
٣	العهد الجديد (الاناجيل)	ـــــ	مطبعة الكتاب المقدس
٤	قصص الانبياء	الشيخ عبد الوهاب النجار	دار ابن كثير بدمشق
٥	قصص الأنبياء (عرائس المجالس)	أبو إسحاق النيسابورى (الثعلبى)	دار الفكر الإسلامى دمشق
٦	الإصابة في تاريخ الصحابة	ابن حجر	مكتبة مصر، القاهرة
٧	الطبقات الكبرى	ابن سعد	الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة
٨	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقى	دار الريان - القاهرة
٩	حياة محمد	محمد حسين هيكل	دار المعارف
١٠	البداية والنهاية	إسماعيل بن كثير	دار الإيمان بالمنصورة
١١	موسوعة مصر القديمة	د/ سليم حسن	الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٢	مصر في القران والسنة	د/ أحمد عبد الحميد يوسف	دار الشروق القاهرة
١٣	أنبياء عاشوا في مصر	فتحى فوزى عبد المعطى	مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة
١٤	موسوعة تاريخ مصر	أحمد حسن	دار الشعب - القاهرة
١٥	الآثار الإسلامية في الوطن العربى	أحمد إسماعيل يحيى	سلسلة اقرأ دار المعارف القاهرة
١٦	تاريخ مكة المكرمة قديما وحديثاً	د/ محمد إلياس عبد الغنى	مطابع الرشيد - المدينة المنورة
١٧	الأطلس التاريخى لسيرة الرسول	سامى بن عبد الله الفلوت	دار العبيكان ، الرياض
١٨	أطلس تاريخ الأنبياء والرسل	سامى بن عبد الله الفلوت	دار العبيكان ، الرياض
١٩	موسوعة المنجد	لويس معلوف	الطبعة الكاثوليكية بيروت

* * * * *

فهـرس الكتاب

* * * * *

هذا الكتـــاب

* فى أى دولـة رست سفينة نوح ﷺ؟ أين يوجد اليم الذى ألقت فيه أم موسى بوليدها؟

* أين يقع الجب الذى ألقى فيه أبناء يعقوب بأخيهم يوسف؟

* من هم أصحاب الأيكة؟ أصحاب الحجر؟

* أين كانت تعيش امرأة العزيز وصاحباتها؟ وأين سجن يوسف ﷺ؟

* من هو ذو القرنين؟ ومتى كان عصره؟ وأين السد الذى بناه؟

* أين يقع الوادى المقدس طوى، وجبل موسى؟

* ما القرية الظالم أهلها؟ وما القرية التى عتت عن أمر ربها؟ ما القرية التى آمنت فنفعها إيمانها؟

* من هم أهل الكهف؟ ومتى كان عصرهم؟ وأين كانوا يعيشون؟

* أين مجمع البحرين، حيث التقى موسى مع العبد الصالح؟

* ما البحر الذى عبره موسى وبنو إسرائيل؟ وفى أى عصر من فراعنة مصر؟

* ما القرية التى كانت خاوية على عروشها؟ فأحياها الله؟

* أين بُشِّرت مريم بعيسى ﷺ؟ وأين كان مولده؟

ما المقصود بأدنى الأرض التى جاء ذكرها فى سورة الروم؟

* ماذا تعرف عن: الكعبة، مكة، المسجد الحرام، مقام إبراهيم، الطائف، عرفات، حنين، بدر، المسجد الأقصى، قبة الصخرة، والمشعر الحرام.

* ما المؤتفكات؟ وماذا وقع فيها من أحداث؟ وما زمنها؟

هذا الكتاب يجيب على كل هذه الأسئلة وغيرها، خلال دراسته لثلاثة وأربعين مكانًا جاء ذكرها فى القرآن الكريم.

إنه يشرح الأحداث التى وقعت فى كل مكان، وأزمانها، ومواقعها.

والكتاب مزود بمجموعة من الصور والرسوم التى توضح كثيرًا من الحقائق الدينية والتاريخية والجغرافية، مع تراجم للشخصيات والأماكن التى جاء ذكرها خلال متابعة الأحداث.